آفَاتُ اللِّسَانِ

(٢)

الْكَذِبُ

للشيخ / ندا أبو أحمد

(الكذب)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

خطورة الكذب وكيفية علاجه

إن الكذب داء دنيء، وقول خبيث، إذا تعوَّده الإنسان ذهب بهاؤه، وسقط وقاره، وضاع احترامه، ولا يُوثق في قوله ولا في عمله، صاحبه في قلق واضطراب، وحيرة وارتياب.

يقول أحدهم:

وما شيء إذا فكَّرت فيه — بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه — وابعد بالبهاء من الرجال

(أدب الدنيا والدين: ص٢٥٣)

والكذب من كبائر الذنوب، وهو أصل الرذائل، ومفتاح الموبقات: من غيبة، ونميمة، وإفك، وشهادة زور... وغير ذلك.

يقول العلامة الماوردي رحمه الله:

"والكذب جماع كل شرٍّ، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤدي إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة" **(أدب الدنيا والدين: ص٢٦٧)**

ولذلك قيل: **"مَن قلَّ صدقه؛ قلَّ صديقه"**

– فالكذب أمره خطير، وشرُّه مستطير، انتشر بين أبناء المسلمين انتشار النار في الهشيم

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

"خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يشهد الرجل وما يُستشهدُ، ويحلف وما يُستحلف" **(صحيح الجامع:٢٠٦)**

– وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ:

"أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهدُ، ألا لا يخْلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثها الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحدة، وهو مع الاثنين أبعد، مَن أراد بَحْبُوحَةَ الجَنَّة فليلزم الجماعة، مَن سرَّتهُ حسنتُهُ، وساءته سيئتُهُ فذلكم المؤمن"

(صحيح الجامع: ٢٥٤٦)

لذا كان لزاماً أن نقف على هذا الداء العضال، والمرض الفتَّاك؛ لنُبيِّن خطورته وكيفية العلاج منه.

• تعريف الكذب

الكذب: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمداً كان أو سهواً.

يقول الإمام النووي ﷺ كما في كتابه "الأذكار" (ص٣٢٦):

"واعلم أن مذهب أهل السُّنَّة أن الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، تعمَّدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد". اهـ

– ويقول الحافظ ابن حجر ﷺ كما في "فتح الباري" (٦/٢٤٢):

"والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، سواء كان عمداً أم خطأً". اهـ

• الكذب قد يكون بالأفعال

يقول الشيخ الميداني ﷺ: "وكما يكون الكذب في الأقوال فيكون أيضاً في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلا يُوهِمُ به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال. **ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال أخوة يوسف عليه السلام:**

إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون، **وقالوا كذباً:** ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ **[يوسف:١٧]**

وجاءوا على قميص يوسف بدمٍ كذبٍ، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل". اهـ بتصرف

(الأخلاق الإسلامية وأسسها:١/٥٢٩)

• أنواع الكذب والأسماء الدالة عليه

قال الرَّاغبُ ﷺ: "الكذب إما أن يكون اختراعاً لقصة لا أصل لها، أو زيادةً في القصة أو نقصاناً يغيران المعنى، أو تحريفاً بتغيير عبارة، فما كان اختراعاً يقال له: الافتراء والاختلاق، وما كان من زيادة أو نقصان يقال له: مَيْنٌ، وكل مَن أورد كذباً في غيره، فهو إما أن يقوله في حضرة المقول فيه أو في غيبته، فإن كان اختراعاً في حضرة المقول فيه فهو بهتان". اهـ

وإن كان في غيبته فهو كذبٌ، وإذا نقل كلاماً قد نُقِل إليه دون تثبيت فهو إفكٌ

• معاني الكذب في القرآن الكريم

١- يأتي الكذب ويراد به النفاق، **في قوله تعالى:** ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠] أي: ينافقون

٢- ويأتي الكذب ويراد به الإنكار، **قال تعالى:** ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١] أي: ما أنكر

٣- ويأتي الكذب ويراد به خُلْف الوعد، **قال تعالى:** ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢] أي: رَدٌّ وخُلْفٌ

٤- ويأتي الكذب ويراد به معناه **كما في قوله:** ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق:٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ [القمر:٩]، **وفي قوله تعالى:** ﴿. . فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:٤٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران:١٨٤] (بصائر ذوي التمييز:٤/٣٤٠)

• حكم الكذب

قال الإمام النووي ﷺ ***في كتابه "الأذكار" (ص٣٢٤):***

"قد تظاهرت نصوص الكتاب والسُّنَّة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من أقبح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص الظاهرة، ***ثم قال*** ﷺ: "ويكفي في التنفير منه ***الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة*** ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ:

"آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"

ذهب كل من الحافظ ابن حجر والإمام الذهبي – رحمهما الله-: **إلى أن الكذب من الكبائر** وأفحش الكذب ما كان كذباً على الله أو على رسوله ﷺ،

وقد صرَّح بعض العلماء: "بأن الكذب على الرسول من الكبائر، ***بينما ذهب البعض الآخر:*** إلى أن الكذب على الرسول كفر".

– ***قال الحافظ ابن حجر*** ﷺ: "ولا ريب أن تعمُّد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض"

– ***وقد ذكر الذهبي*** ﷺ: "أن الكذب في الحالتين السابقتين كبيرةٌ، وأن الكذب في غير ذلك أيضاً من الكبائر في غالب أحواله" (انظر الكبائر: ص١٢٥)

• خطــورة الكذب

ولخطورة الكذب جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحذر منه

ففي القرآن الكريم جاءت حوالي مائتين وثلاث وثمانين آية تحذر من هذا الخلق الذميم، والداء العضال، وهناك أيضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي تحث بل تأمر بالصدق، وتظهر فضل الصادقين

كقول رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]

وكما هو معروف أن الأمر بالشيء نهي عن ضده

فما أنعم الله على عبدٍ من عباده بنعمة بعد الإسلام أفضل من الصدق، ولا ابتلاه ببليَّة أعظم من الكذب الذي هو بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولبه، ولذلك رغَّب الإسلام في الصدق وملازمة الصادقين، ونفَّر من الكذب والبعد عن الكاذبين.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"عليكم بالصدق، فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ[1]، وإن البرَّ يهدي إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ[2] ويتحرَّى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صِدِّيقاً، وإياكم والكذبَ، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يكتبَ عند الله كذَّاباً"

وفي الحديث إشعار بحسن خاتمة الصادق الذي يتكرر منه الصدق، وسوء خاتمة الكذَّاب الذي يتكرر منه الكذب.

قال الإمام النووي ﷺ كما في "شرح مسلم" (٥/٤٦٧):

"فيه حثٌّ على تحرِّي الصدق وهو قصدُهُ والاعتناء به، وكذا الحث على التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كَثُرَ منه؛ فَعُرِفَ به، ومَن تَحرَّى الصدق كتبه الله صِدِّيقاً إن اعتاده، ومَن تَحرَّى الكذب كتبه الله كذَّاباً إن اعتاده". اهـ بتصرف

---

(١) البِرّ: بكسر الباء: الطاعة.
(٢) يصدق: أي يتكرر منه الصدق.

• كثرة وانتشار الكذب علامة من علامات الساعة:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"لا تقومُ الساعةُ حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذبُ..." الحديث

ولقد انتشر الكذب في هذا الزمان بصورة مخيفة، فعمَّ وطَمَّ في أرجاء المعمورة، فكم من أعراضٍ انتُهِكَت بسبب الكذب، وكم من دماءٍ سُفِكَت بسبب الكذب، وكم من مقدساتٍ دُنِّسَت بسبب الكذب، وكم من زوجاتٍ طُلِّقَت بسبب الكذب، وكم من بيوتٍ هدمت بسبب الكذب، وكم... وكم. وإلى الله المشتكى.

• كثرة الكذب علامة على النفاق:

قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

[المنافقون:١]

- ***يقول الحسن البصري*** ﷺ: "يُعد من النفاق اختلاف القول والعمل، واختلاف السر والعلن، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بُنِيَ عليه هو الكذب"

- ***وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** **"آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"**

- ***وعند البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال:***

"أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلةٌ منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَهَا: إذا اؤتمن خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"

- ***قال الإمام النووي*** ﷺ ***في شرح الحديث السابق:***

"الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: "أن معناه: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال قوله ﷺ: **"كان منافقاً خالصاً"** معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال" **(شرح مسلم: ٢٣٦/٢)**

- ***وقال الحافظ ابن حجر*** ﷺ: "المراد بإطلاق النفاق: الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال"

(فتح الباري:١١٣/١)

• الكذب علامة على الخيانة:

فقد أخرج أبو داود بسند فيه مقال من حديث سفيان بن أسيد الحضرمي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"كبرتْ خيانة أن تُحدِّث أخاك حديثاً هو لك مُصدِّق، وأنت له به كاذب".**

(ورواه الإمام أحمد من حديث النواس ابن سمعان ﷺ)

- ***وقيل في "منثور الحكم":*** "الكذِب لص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذب يسرق عقلك"

- ***وقال علّي بن أبي طالب ﷺ:*** "الكذَّاب كالسراب" **(أدب الدنيا والدين: ص٢٤٦)**

• والكذب علامة على خلل في الإيمان:

فقد أخرج البيهقي في "الشعب" من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"يطبع المؤمن على الخلال كلها[1] إلا الخيانة والكذب "

- ***وفي رواية:*** **"يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب"**

(قوَّى إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح": ١٠/٥٢٤) (وضعفه الألباني في "الترغيب": ١٧٤٨)

- ***يقول أبو بكر الصديق ﷺ:*** "الكذب يجانب الإيمان"

(قال الحافظ ابن حجر ﷺ في "الفتح" (١٠/٥٢٤): **"أخرجه البيهقي في "الشعب" بسند صحيح وأخرجه عنه مرفوعاً، وقال الصحيح موقوف)**

- ***ويقول ابن القيم ﷺ كما في "زاد المعاد" (٣/٥١٦):***

"فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه، ويستقر موضعه" اهـ

فدلَّ هذا على أن المؤمن لا يكون كذَّاباً

- ***وقد جاء في حديث أخرجه الإمام مالك بسند فيه مقال من حديث صفوان بن سليم ﷺ قال:*** **"قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أيكون المؤمن كذَّاباً؟ قال: لا"**

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا وإياكم من الصادقين

(١) أي يعود على الخصال جميعها، وتكون كسجية، وتنقش صورها عنده، إلا خصلتين هو براء منهما فلا تجده كاذباً خائناً.

أنــواع الــكــذب

١ - الــكــذب عــلــى الله ورســولــه:

- **أولا: الكذب على الله تعالى**

قال تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠]

قال ابن عباس ﷺ ***في قوله:*** ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ يعني: "الافتراء على الله والتكذيب"

(تفسير الطبري:١٧/١١٢)

ويقول ابن جرير الطبري ﷺ ***في الآية السابقة:*** "واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر:٣]، وقولكم للملائكة: هي بنات الله... ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذبٌ وزور وشرك.

- **والكذب على الله من أخطر وأشد أنواع الكذب، قال تعالى:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود:١٨]

- **والكذب على الله يتضمَّن القول عليه بغير علم**، كوصفه بأوصاف لم يصف الله بها نفسه، ولم يصفها بها رسوله ﷺ، فهذا من الكذب

- **والكذب على الله يدخل فيه أيضاً:** تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله، وقد حذَّر الله من هذا **فقال تعالى:** ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]

قال ابن الجوزي ﷺ ***في تفسيره "زاد المسير في علم التفسير":***

"وقد ذهب طائفة من العلماء: "إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله مُتَعَمِّداً في تحليل حرام، أو تحريم حلال كفر محض" اهـ

وكان السلف الكرام يخافون أن يتجرءوا على قولهم: هذا حلال وهذا حرام

يقول الإمام مالك ﷺ: "لم يكن أسلافنا يقولون: هذا حلال وهذا حرام، ما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره هذا، ونرى هذا حسناً، ونتقي هذا، ولا نرى هذا، **فالله تعالى يقول:**

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٥٩]

الحلال ما أحل الله، والحرام ما حرَّمه الله". اهـ (جامع بيان العلم وفضله) (أعلام الموقعين:١/٣٨)

إذاً من الكذب على الله تشريع أمراً لم يأذن به الله

والنبي ﷺ رأى عمرو بن عامر الخزاعي يجُرُّ أمعاءه في النار؛ لأنه أول مَن غيَّر في دين العرب، وشرع لهم أموراً لم يأذن بها الله، فحرَّم أنواعاً من الإبل أن تركب، وأنواعاً أخرى حرَّم حلبها، وأنواعاً أخرى سيَّبها لآلهتهم المزعومة.

وقد جاء في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيَّب السوائب"

وصدق الله ﷻ حيث قال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٤]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس:٦٩]

- ومن الكذب على الله ادعاء أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج، وكذلك مَن كتم شيئاً من كتاب الله، ومَن ادعى الغيب

فقد أخرج الإمام مسلم عن مسروق قال: **"كنتُ مُتَّكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ مَن تكلَّم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية(١)، قلت: ما هُنَّ؟ قالت: مَن زعم أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني(٢) ولا تُعْجِليني، ألم يقل الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير:٢٣] ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم:١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها هاتين المرَّتين، رأيته مُنْهبطاً من السماء سادا عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض(٣)، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، أولم تسمع أن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١]، قالت: ومَن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله؛ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة:٦٧]، قالت: ومَن زعم أنه يُخْبِرُ بما يكون في غَدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥]"**

---

(١) أعظم على الله الفرية: هي الكذب، يقال: فري الشيء، يفريه، فرّياً، وافتراه يفتريه افتراءً: إذا اختلقه.
(٢) أنظريني: من الإنظار، وهو التأخير والإمهال.
(٣) سادا عِظَمُ خَلْقِهِ: وعظم ضبطت على وجهين، أحدهما "عُظْم" بضم العين وسكون الظاء، والثاني "عِظَم" بكسر العين وفتح الظاء، وكلاهما صحيح.

- **ومن الكذب على الله قول البعض:** "يعلم الله كذا وكذا" وهو على يقين أن الأمر بخلاف ذلك، وقد نهى الشرع عن هذا القول كذباً أو حال الشك.

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" بسند صحيح عن ابن عباس ﷺ قال:

"لا يقولَنَّ أحدكم لشيء يعلمه: الله يعلمه، والله يعلم غير ذلك، فيُعلم الله ما لا يعلم، فذاك عند الله عظيم"

قال الإمام النووي ﷺ في "الأذكار" (٣٢٦):

"وهذه العبارة "يعلم الله" فيها خطر، فإن كان صاحبها مُتيقّناً أن الأمر كما قال فلا بأس بها، وإن كان تشكك في ذلك فهو من أقبح القبائح؛ لأنه تعرَّض للكذب على الله تعالى، فإنه أخبر أن الله تعالى يعلم شيئاً لا يتيقن كيف هو، وفيه وقيعة أخرى أقبح من هذا، وهو أنه تعرَّض لوصف الله تعالى بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو، وذلك لو تحقَّق كان كفراً، فينبغي للإنسان اجتناب هذه العبارة".اهـ

- ومن الكذب على الله تخصيص بعض الليالي أو الأيام أو الشهور بعبادات لم يأذن بها الشرع الحكيم

- ويدخل في الكذب على الله ورسوله كذلك الفتوى بغير علم

ولقد حذَّر الله من هذا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]

قال ابن الجوزي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ "عام في تحريم القول في الدين من غير يقين". **(زاد المسير في علم التفسير:١٩٢/٣)**

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناسُ رءوساً جهالاً، فسُئِلُوا فأفْتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا"

فالله ﷻ لم يبح لأحد أن يتقوَّل عليه ما لم يقله وتوعَّده بوعيد شديد، حتى إنه قال عن خليله وصفيِّه محمد ﷺ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ [1] ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧]

والنبي ﷺ لا يتصور منه شرعاً ولا عقلاً أن يكذب على رب العالمين، حاشاه فهو المعصوم، ولكن المعنى والمقصود من الآية: تحذير الأمة من الكذب على الله تعالى، وكأنه سبحانه يقول: هذا نبيٌّ وخليلي لو كذب عليّ لقطعت منه نياط قلبه، فكيف أنتم؟!

ومن الآيات التي تُرَهِّب من الكذب **قوله تعالى:** ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٨]

- قال ابن القيم رحمه الله كما في "إغاثة اللهفان" (١/٨٣):

"عجباً والله... سُئِلُوا وحوسبوا وهم صادقون، فكيف بالكاذبين؟

- ومن الكذب على الله وعلى رسوله ادعاء النبوة

فقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيخرج في هذه الأمة كذَّابون دجَّالون يدَّعون النبوة

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن بين يدي الساعة كذَّابين، قال جابر: فاحذروهم"**

- وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في حديث له:

"... ولا تقوم الساعة حتى يبعث [2] دجَّالون كذَّابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله"

- وأخرج الإمام مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قاد الجيش لقتال عبد الله بن الزبير:

"أما إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن في ثقيف كذَّاباً ومبيراً، فأمَّا الكذَّاب فقد رأينا، وأما المبير فلا إخَالُك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها"

---

(١) *الوتين: يقول ابن عباس رضي الله عنهما:* "هو نياط القلب وهو العِرْقُ الذي القلب معلقٌ فيه".

(٢) يبعث: يعني يخرج ويظهر.

- ***قال الإمام النووي ﷺ كما في "شرح مسلم"(٣٢٨/٨):***

"وقولها في الكذَّاب: "فرأيناه" تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي[١]، كان شديد الكذب ومن قبحه ادعي أن جبريل عليه السلام يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذَّاب هنا "المختار بن أبي عبيد"، وبالمبير "الحجاج بن يوسف الثقفي". والله أعلم". اهـ

- وكان من جملة هؤلاء الكذَّابين مسيلمة الكذَّاب باليمامة، الذي كان يدَّعي أنه يوحى إليه كما يوحى إلى النبي ﷺ، **وقد قال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]

- وآخر هؤلاء الكذَّابين خروجاً هو المسيح الأعور الكذَّاب

ففي "مسند الإمام" أحمد بسند صحيح عن النبي ﷺ قال:

"وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذَّاباً آخرهم الأعور الكذَّاب"

- ***وعند البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:***

"ما بُعِثَ نبيٌّ إلا أنذر أمته الأعور الكذَّاب، إلا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر"

وبعد...، فقد وقفنا على بعض من صور الكذب على الله تعالى، وأنها من الخطورة بمكان، وقد جعل الله تعالى علامة يوم القيامة يعرف بها كل مَن كذب عليه، **قال تعالى:**

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠]

---

(١) وقولها: فأما الكذَّاب فقد رأينا وتعني به المختار، *وقد حدَّث سعيد بن وهب قال*: "كنت عند عبد الله بن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢] (تفسير الطبري:٤٨٧/٩)

- **ثانيا: الكذب على النبي ﷺ**

وهو أيضاً من أخطر أنواع الكذب، وقد بيَّن النبي ﷺ أنه سيكون في آخر الزمان أناس يكذبون عليه

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم"

فالنبي ﷺ حذَّر من هؤلاء؛ لأنهم يغيرون معالم الدين حيث يدخلون فيه ما ليس منه، أو يخرجون منه ما هو ثابت فيه، وأيضاً بهذا الكذب ربما يُحلُّون حراماً أو يُحرِّمون حلالاً، وكفي بهذا إثماً مبيناً، وإفكاً عظيماً.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يُري عينيه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل" فهذا من أعظم الكذب

ولهذا توعَّد النبي ﷺ مَن يكذب عليه بوعيد شديد

فقد أخرج البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، مَن كذب عليّ مُتَعَمِّداً فليتبوأ [1] مقعده من النار"

- ***وفي رواية في "الصحيحين" عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

"لا تكذبوا عليّ، فإنه مَن كذب عليّ فليلج [2] النار"

- ***وفي رواية عند البخاري:*** **"مَن يقُل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"**

- ***وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:***

"ومَن كذب عليّ مُتَعَمِّداً؛ فليتبوأ مقعده من النار"

- ***وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:***

"إن الذي يكذب عليّ؛ يُبْنَى له بيت في النار"

---

(١) فليتبوأ: التبوء اتخاذ المنزل، من المباءة وهي المنزل.

(٢) فليلج: بصيغة الأمر، وهو للإخبار كما تؤيده الروايات الأخرى.

والكذب على الله ورسوله سيؤدي بالطبع إلى تغيير معالم الدين، وهذا يؤدي بدوره كذلك إلى كثرة الاختلاف وافتراق الأمة، وقد حذَّر رب العالمين من هذا، **فقال تعالى:** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٥- ١٠٦]

- وقد نقل ابن كثير ﷺ عن ابن عباس ﷺ في تفسير الآية السابقة:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ***قال:*** يوم تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.

- فاحذر أن تنسب إلى أي فرقة غير أهل السُّنَّة والجماعة، واحذر أن تتخذ لك قدوة غير النبي ﷺ، واحذر من الاختراع والابتداع في الدين، **وقد قال تعالى:**

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء:١١٥]

- وكل مَن ابتدع في دين الله فهو مشاقق لله ولرسوله

وقد كان النبي ﷺ يقول: **"إياكم ومُحْدثات الأمور، فإن كل مُحْدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"** (رواه مسلم)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان عن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجَنَّة، وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي"

• حكم الكذب على النبي ﷺ دون غيره

تعظيم تحريم الكذب على النبي ﷺ، وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا إلا أن يستحله، وهذا مذهب الجمهور.

والرأي الثاني: أن الكذب على النبي ﷺ يكفر متعمده عند بعض أهل العلم كالشيخ أبو محمد الجويني، ووجهه بأن الكذب عليه في تحليل حرام مثلاً لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام، أو الحمل على استحلاله، واستحلال الحرام كفر، والحمل على الكفر كفر، لكن ضعف هذا الرأي إمام الحرمين، وقال: "إنه هفوة عظيمة"

– ***ورجح الإمام النووي والحافظ ابن حجر رأي الجمهور وهو:*** "أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد حل ذلك"

– ***فقال الحافظ ابن حجر*** رحمه الله: "الكذب عليه ﷺ كبيرة، والكذب على غيره صغيرة، فافترقا، ولا يلزم من استواء الوعيد في حق مَن كذب عليه، أو كذب على غيره، أن يكون مقرهما واحداً أو طول أقامتهما سواء، ***فقد دل قوله*** ﷺ: "**فليتبوأ**" على طول الإقامة فيها، بل ظاهره أنه لا يخرج منها؛ لأنه لم يجعل له منزلاً غيره، إلا أن الأدلة القطعية قامت على أن خلود التأبيد مختص بالكافرين، وقد فرَّق النبي ﷺ بين الكذب عليه وبين الكذب على غيره، ***فقال*** ﷺ ***كما عند البخاري:*** "**إن كذباً عليّ ليس ككذبٍ على أحد...**"

– ومَن كذب على النبي عمداً في حديث واحد؛ فسق وردت روايته كلها، وبطل الاحتجاج بجميعها.

(انظر شرح الإمام النووي على مسلم:١/٦٩) و(فتح الباري بشرح صحيح البخاري:١/٣٠٢)

قلت: والكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله؛ **لأن الله تعالى يقول:**

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ **[النجم: ٣- ٤]**

فيدخل مَن كذب على الرسول في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

[يونس:٦٩]

(آفات اللسان لسعيد بن على بن وهف القحطاني – حفظه الله –: ص٥٧-٥٨)

٢ - ومن الكذب: شهادة الزور:

يقول الشيخ الميداني ﷺ:

"وفي حياة الناس نوع خطير من الكذب، شديد القبح، سيء الأثر، ألا وهو شهادة الزور".

تعريف الشهادة لغة: الإخبار بما قد شوهد. **(قاله ابن فارس)**

الشهادة اصطلاحاً: قولٌ صادرٌ عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر. **(قاله الراغب)**

الزور لغة: الميل عن الحق، ويقال للكذب: زُورٌ؛ لكونه مائلاً عن جهته، **قال تعالى:** ﴿ ظُلْماً وَزُوراً ﴾ فالزور: يقصد به قول الكذب، وشهادة الباطل، ومجالس اللهو. **[الفرقان:٤]**

الزور اصطلاحاً: هو الكذب الذي قد سُوِّيَ وحُسِّنَ في الظاهر؛ ليُحْسَب أنه صدق، وهو من قولك: زوَّرت الشيء: إذا سويته وحسَّنته.

- قال الحافظ ابن حجر ﷺ كما في "فتح الباري" (٥/٤٢٦):

"وضابطُ الزور هو وصف الشيء على خلاف ما هو به، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها.

شهادة الزور اصطلاحاً: ***قال القرطبي ﷺ:*** "شهادة الزور: هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلافِ نفسٍ، أو أخذ مالٍ، أو تحليل حرامٍ، أو تحريم حلال. **(فتح الباري:٥/٤٢٦)**

- يقول ابن جرير الطبري ﷺ في تفسير هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ **[الفرقان:٧٢]**

وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، حتى يُخيَّل إلى مَن يسمعه أو يراه أنَّه خلاف ما هو عليه، ويدخل فيه الغناء؛ لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامِعُهُ سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه انه حق، فكل ذلك يدخل في معنى الزور".اهـ **(جامع البيان في تفسير القرآن:١٩/٣١)**

- ***ويقول أبو حَيَّان في تفسير قوله تعالى:*** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ والظاهر أن المعنى:

لا يشهدون بالزور، أو لا يشهدون شهادة الزور، وقيل: المعنى لا يحضرون الزور، وقد اختلف في الزور على أقوال منها: الشرك (قاله الضحاك وابن زيد)، والغناء (قاله مجاهد)، والكذب (قاله ابن جريج) وأعياد المشركين (عن مجاهد أيضاً)، ومجالس الباطل (قاله قتادة)، وقيل غير ذلك".اهـ

(تفسير البحر المحيط ٤٧٣/٦)

- ***وفي قوله:*** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ***يقول البيضاوي:***

"أي: لا يقيمون الشهادة الباطلة، أو لا يحضرون محاضر الكذب، فإن مشاهدة الباطل شركة فيه. اهـ

- ***وزاد القسطلاني:*** "والذين لا يحضرون مجالس الفسق والكفر، واللهو والغناء".اهـ

فالخلاصة: إن شهادة الزور هي: أن يشهد الإنسان أمام حاكم أو نحوه بغير علم، ويتحرى الباطل ويكذب، وهذه الشهادة يترتب عليها ضياع الحقوق وطمس معالم العدل، وإعانة الظالم، وإعطاء المال أو الحقوق لغير مستحقيها، وتقويض أركان الأمن، إذ يجرؤ الناس على ارتكاب الجرائم، واقتراف الآثام اتكالا على وجود أولئك الفسقة العصاة الآثمين المجرمين.

وقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على تحريم شهادة الزور، والترهيب من الوقوع فيها

- **أولا الآيات القرآنية:**

١. قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠]

قال ابن كثير ﷺ ***في تفسير هذه الآية:*** ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ "مِنَ" هنا لبيان الجنسن أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، **وقرن الشرك بقول الزور كقوله:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، ومنه شهادة الزور". **(تفسير ابن كثير:٣/٢٢٩)**

٢. وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ [الفرقان:٧٢]

قال ابن كثير ﷺ ***في تفسير هذه الآية:*** "وقيل المراد بقوله تعالى: ﴿ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أي شهادة الزور، وهي الكذب مُتَعَمِّداً على غيره".اهـ

فهذا فيه من ضياع للحقوق أو ظلم برئ، أو تبرئة ظالم، وهذا كذب وزور، فينبغي أن تكون الشهادة كما ورد في كتاب الله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [يوسف:٨١]

٣. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦]

- ***قال محمد من الحنفية*** ﷺ ***في قوله تعالى:*** ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ يعني شهادة الزور،
- ***وقال قتادة*** ﷺ: "لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله"
- ***وقد ترجم البخاري*** ﷺ ***في "صحيحه" بابا بعنوان*** **"ما قيل في شهادة الزور" لقول الله** ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾، **وكتمان الشهادة؛ لقوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٣]، فنجد أن الله ﷻ حرَّم شهادة الزور؛ لكونها سبباً لإبطال الحق، وحرَّم كتمانها (أي الشهادة) لكونها سبباً أيضاً لإبطال الحق".اهـ **(انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٥/٢٦٣)**

- **ثانيا: الأحاديث النبوية:**

١. شهادة الزور من الكبائر

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال:

"سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الكبائر[١] فقال:"الإشراك بالله[٢]، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور"

- قال ابن حجر الهيتمي ﷺ في كتابه "الزواجر"(ص٣٣٥):

"شهادة الزور وقبولها كلاهما من الكبائر، وحكى بعضهم الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة، ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً، فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جداً".

اهـ بتصرف واختصار

٢. شهادة الزور ليست كبيرة فقط، بل هي من أكبر الكبائر

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة ﷺ قال:

"كنا عند رسول الله ﷺ، فقال:"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ثلاثاً[٣]، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان مُتَّكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها، حتى قلت: لا يَسْكُتُ"

- وفي رواية: **"فمازال يكررها[٤] حتى قلنا: ليته سَكَت[٥]"**

- وذكر الحافظ ابن حجر ﷺ في "فتح الباري"(٥/٢٦٣) عند قول أبي بكرة:

"وكان مُتَّكئاً فجلس" يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان مُتَّكئاً، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعِظَم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أسهل وقوعاً بين الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة، كالعداوة، والحسد... وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك، فإن مفسدته قاصرة غالباً".اهـ

---

(١) الكبائر: هي الذنوب التي نهى الله عنها نهياً جازماً، وأوعد مرتكبها بالعذاب في الآخرة، وهي موبقة مهلكه فاعلها.

(٢) الإشراك بالله: اعتقاد أن في الخلق مَن يماثل المولى سبحانه في الصفات، ويشاركه في الأفعال، ويشابهه في استحقاق العبادة، وهو ذنب لا يُغْفَر، يخلد صاحبه في النار إذا مات عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]

(٣) قال ثلاثاً: أي أعادها ثلاث مرات.

(٤) فما زال يكررها: لقبحها وشدة تأثيرها في تخريب البيوت العامرة، وسلب الأموال، وسفك الدماء.

(٥) ليته سكت: تمنيا سكوته رأفة به ﷺ

٣. كثرة شهادة الزور من علامات الساعة

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن بين يدي الساعة... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق"

٤. شهادة الزور تحبط الأعمال

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ"

٥. بل شهادة الزور تعدل الشرك بالله

فقد أخرج أبو داود والترمذي بسند فيه مقال من حديث أيمن بن خُرَيْمٍ الأسَدِي ﷺ قال:

"أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: "أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله . وفي رواية: "الإشراك بالله- ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ (١) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]" (ورواه الطبراني في "الكبير" بسند صحيح موقوفاً على ابن مسعود ﷺ)

• خطورة شاهد الزور:

يقول الإمام الذهبي ﷺ في كتابه "الكبائر" (ص٧٩): "إن شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

أحدُها: الكذب والافتراء، ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه (أحياناً) ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته فوجبت له النار، ***مصداقاً لقوله*** ﷺ: **"مَن قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار"** رابعها: أنه أباح ما حرَّم الله تعالى، وعصمه من المال والدم والعرض" اهـ

- وقد نقل ابن حجر الهيتمي في كتابه "الزواجر" (ص٦٣٦) عن بعض السلف أنه قال:

"إذا كان الشاهد كاذباً؛ تأثم ثلاث آثام: إثم المعصية، وإثم إعانة الظالم، وإثم خذلان المظلوم" اهـ

ولخطورة شهادة الزور كان عمر ﷺ يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويحلق رأسه، ويطوف به في الأسواق. (تفسير القرطبي:٨٠/١٣)

---

(١) الأوثان: هي الأصنام التي تُعْبَد من دون الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ يعني: اجتنبوا هذه الأوثان كما تجتنب الأنجاس، وهذا في غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها، والتنفير من عبادتها.

• شاهد الزور ودعوة المظلوم

أخرج البخاري من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال:

"شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ﷺ؛ فعزله واستعمل عليهم عمَّاراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحْسِن تصلي، قال أبو إسحاق: أمَّا أنا والله فإني كنت أُصلِّي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرمُ عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين، وأخف في الآخرين، قال: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويُثنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عَبْسٍ، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سَعْدَة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسويَّة، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأَدْعُوَنَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهُنَّ، وكان بَعْدُ إذا سُئِل، يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوةُ سعد"

فليحذر شاهد الزور من دعوة المظلوم

• خطورة شهادة الزور وما يترتب عليها

جاء في كتاب "الأخلاق الإسلامية" (١/٥٤٦):

"إن الأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق، ومُعينة للقضاة على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم؛ فيظلمون، أو يبغون، أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحوَّلت الشهادة عن وظيفتها فكانت سنداً للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق استناداً إلى ما تضمنته في إثبات، فإنها تحمل حينئذ إثم جريمتين كبريين في آن واحد، الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعيَّة الأولى، الجريمة الثانية: قيامها بجريمة تُهضَم فيها الحقوق، ويُظلَم فيها البُراء، ويُستَعان بها على الإثم والبغي والعدوان"

وقد جاء في "مجلة البحوث الإسلامية" بالرياض – العدد السابع عشر (ص٢٥٥– ٢٧٢) أن شهادة الزور يترتب عليها جملة من الجرائم منها:–

١– تضليل الحاكم عن الحق، والتَّسبُّب في الحكم بالباطل؛ لأن الحكم يُبْنَى على أمور منها:– البَيِّنَة على المُدَّعِي واليمين على مَن أنكر، فإذا كانت البَيِّنَة كاذبة أثرت على الحكم، فكان بخلاف الحق والإثم على الشاهد، ***ولذلك قال*** ﷺ: **"إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إليّ، ولعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر، فأقضي له نحو ما أسمع"** (رواه البخاري)

٢– الظلم لمَن شهد له؛ لأنه ساق إليه ما ليس بحق بسبب شهادة الزور؛ فوجبت له النار: ***لقوله*** ﷺ: **"إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمَن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها"** (رواه البخاري)

٣– الظلم لمَن شهد عليه، حيث أخذ ماله أو حقه بالشهادة الكاذبة؛ فيتعرض الشاهد بذلك لدعوة الشهود عليه بغير الحق ظلماً، ودعوة المظلوم مستجابة لا تُرَدُّ وليس بينها وبين الله حجاب،

كما قال ﷺ: **"ثلاثة لا ترد دعوتهم..."** ***وذكر منهم:*** **"دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين"**

(رواه أبو داود والترمذي)

وقال ﷺ: **"مَن اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه؛ فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجَنَّة، فقال رجل: وإن شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن قضيباً من أراك** [(١)]**"** (رواه مسلم)

٤– تخليص المجرمين من عقوبة الجريمة بالشهادة الباطلة، وذلك يسبب للناس الرغبة في ارتكاب الجرائم اتكالاً على وجود شهادة الزور، وهذا يؤدي إلى فساد اجتماعي يعصف بالمجتمع ويدمره، بالإضافة إلى تقويض لأركان الأمن، وزعزعة للاستقرار.

(١) الأراك: عود السواك.

٥- يترتب على شهادة الزور انتهاك المحرمات، وإزهاق النفوس المعصومة، وأكل الأموال بالباطل، والحاكم والمحكوم عليه بالباطل خصماء لشاهد الزور عند أحكم الحاكمين يوم القيامة.

٦- يحصل بشهادة الزور تزكية المشهود له، وهو ليس أهلاً لذلك، ويحصل بها جرح المشهود عليه بالباطل، والتزكية شهادة للمزكي، فإذا كان حال المزكي وواقعه بخلاف مضمون التزكية، فإن المزكي شاهد بالزور، حيث شهد بخلاف الحق أو بما لا يعلم حقيقته، فكذلك شاهد الزور هو مُزَكٍّ للظالم، ومُجرِّح للمظلوم.

٧- يترتب على شهادة الزور القول في دين الله بغير حق وبغير علم، فإن ذلك من أعظم الفتن، ومن أخطر أسباب الصد عن سبيل الله، ومن أفحش عوامل الضلال للناس، وهو من الجرأة على الله، ومن أوضح الأدلة على جهل قائله- خاصة إذا تبيَّن له الحق فلم يرجع إليه - أو على نفاقه وإلحاده،

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]

فما أكثر شهادة الزور اليوم، ومثلهم الذين يُحرِّمُون ما أحلَّ الله لهم، وأخطر من ذلك قوم يكتمون الحق مع علمهم به، ويظهرون الباطل ويدعون الناس إليه ويزينونه لهم، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة".

اهـ بتصرف

٣ - ومن الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه متعمدا: وذلك لجلب نفع أو دفع ضر

- مثال للكذب من أجل دفع الضر

ما أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ﷺ قال:

"إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويُجْلَدون، فقال عبد الله ابن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فَأَتَوْا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده؛ فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمدُ، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا، قال عبد الله ابن عمر: فرأيت الرجل يَجْنَأُ[١] على المرأة يقيها الحجارة"

- مثال للكذب من أجل جلب نفع

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ثابت بن الضَّحَّاك ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"ليس على رجل نذرٌ فيما لا يملك، ولَعْنُ المؤمن كقتله، ومَن قتل نفسه بشيء في الدنيا؛ عُذِّبَ به يوم القيامة، ومَن ادَّعَى دَعْوَى كاذبة[٢] ليتكثر بها؛ لم يزده الله إلا قلة، ومَن حلف على يمين صَبْرٍ فاجرة[٣]"

---

(١) يجنأ: أي يميل.

(٢) دعوى كاذبة: يعني باطلة.

(٣) اليمين الصَبْرِ الفاجرة: هي التي ألزم بها الحالف عند حاكم ونحوه، والفاجرة بمعنى الكاذبة، وفي الحديث إيجاز بالحذف يدل عليه ما قبله، إذ التقدير: "ومَن حلف... فهو مثله"

٤- ومن الكذب: الحلف كذبا لإنفاق السلعة، أو لأكل مال الغير:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله [١] يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم [٢] قال: فقرأها رسول الله ﷺ [ثلاث مرارٍ]"، *قال أبو ذر ﷺ:* "خابوا وخسروا. مَن هم يا رسول الله؟ قال: المسبل [٣]، والمَنَّان [٤]، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"

- *وفي رواية لمسلم:* "وملك كذَّاب"

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ كان له فضلُ ماءٍ بالطريق، فمنعه من ابن السبيل، ورجلٌ بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجلٌ أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل، ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧]"

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله يوم القيامة، ولا ينظرُ إليهم: رجلٌ حلف على سلعةٍ لقد أُعْطِي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجلٌ حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجلٍ مسلمٍ، ورجلٌ مَنَعَ فضلَ مائِهِ، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضلَ ما لم تعمل يداك"

---

(١) لا يكلمهم الله: أي لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات بإظهار الرضا، بل بكلام أهل السخط والغضب.

(٢) ولهم عذاب أليم: يعني عذاب مؤلم.

(٣) المسبل: الذي يرخي إزاره أسفل الكعبين، ويجره خيلاء.

(٤) المنَّان: الذي يعطي الحاجة لأخيه ويُشَهِّر به أمام الناس ليمنَّ عليه.

- فعلى الإنسان ألا يحلف؛ لأن هذا الحلف وإن كان منفق للسلعة ولكنه ممحق للبركة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة"

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن شبل ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن التُّجَّار هم الفجار، فقيل: يا رسول الله، أليس قد أحلَّ الله البيع؟ قال: نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويُحدِّثُون فيكذبون" (صحيح الترغيب:١٧٨٦)

- وفي رواية الترمذي عن رفاعة ﷺ: **"أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المُصَلَّى، فرأى الناس يتبايعون، فقال: يا معشر التُّجَّار، فاستجابوا لرسول الله ﷺ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: إن التُّجَّار يبعثون يوم القيامة فُجَّاراً إلا مَن اتقى الله، وبَرَّ، وصَدَقَ"**

- مَن اقتطع حقاً بيمينه، فقد أوجب الله له النار، حتى وإن كان هذا الحق يسيراً

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي أمامة بن ثعلبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"مَن اقتطعَ حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه [1]؛ فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجَنَّة، فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك "**

تحذير ووعيد:

احذر أخي الحبيب أن تحلف كاذباً على أمر مضى مُتَعَمِّداً الكذب، فهذا يمين غموس، وهو من الكبائر

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال:

"جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، قال: ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس"

واليمين الغموس سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم تغمسه في النار، وهذا اليمين لا كفارة لها إلا التوبة والاستغفار، وإصلاح ما أفسده اليمين: كضياع الحقوق، وأحكام القضاء المترتبة على هذا اليمين الكاذب.

---

(١) بيمينه: أي بيمين كاذبة.

وقفة:

كل مَن يحلف بالله كاذباً فهو لا يعرف قدر الله وعظمته

جاء في حديث أخرجه أبو الشيخ في "كتاب العظمة" والطبراني في "الأوسط" والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن الله أذن لي أن أُحَدِّث عن ديكٍ قد مرقت رجلاهُ الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك!، فيرد عليه سبحانه: لا يعلم ذلك مَن حلف بي كاذباً"

(صحيح الجامع: ١٧١٤)

– ولذلك كل مَن يحلف بالله كاذباً؛ فإنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"مَن حلف على مال امرئٍ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان"**

وعند البخاري ومسلم أيضاً من حديث الأشعث بن قيس ﷺ قال:

"كان بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لي: شاهداك أو يمينه، فقلت: إذا يحلف ولا يبالي، فقال رسول الله ﷺ: مَن حلف على يمين يقتطع بها مال امرئٍ مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان"

تنبيه:

تعظم المصيبة في حق مَن يحلف بملة غير الإسلام كاذباً مُتَعَمِّداً، ومن فعل هذا فإن جزاءه عظيم وجرمه كبير، ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ثابت بن الضحاك ﷺ أن النبي ﷺ قال:***

"مَن حلف بملة غير الإسلام كاذباً مُتَعَمِّداً فهو كما قال، ومَن قتل نفسه بحديدة عُذِّبَ بها في نار جهنم"

٥- ومن الكذب أن يخلع الإنسان على نفسه صفات ليست فيه أو يتكلم عن نفسه بكلام هو منه بعيد:

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨]

كالذي يتزيَّ بزي أهل الزهد، أو العلم، أو أهل الثراء، ويوهم الناس بهذا؛ ليغتروا ويعاملوه على خلاف حقيقته، وهذا من الزور.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت:

"إن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لي ضَرَّة (١) فهل علي جناح (٢) إن تشبَّعْتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي ﷺ: المتشبع (٣) بما لم يُعْطَ كلابس ثَوْبَيّ زورٍ (٤)"

وكان عمر رضي الله عنه يقول:

"لأن يضعني الصِّدْقُ - وقلَّما يضع - أحبُّ إليّ من أن يرفعني الكذب، وقلَّما يفعل"

(أدب الدنيا والدين: ص٢٥٥)

والتشبع بما لم يُعْطَ في أمور الآخرة أشد ذنباً وأكثر إثماً، كالإفتاء بغير علمٍ، ليظهر أمام الناس أنه من أهل العلم.

ويدخل تحت هذا العنوان أيضاً: الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن المستورد ابن شداد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"مَن أكل برجل مسلم أكلةً، فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومَن كسي ثوباً برجل مسلم، فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومَن قام برجل مقام سمعة ورياء، فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة"**

(صححه الألباني في "صحيح أبي داود":٤٠٨٤) و(هو في السلسلة الصحيحة:٩٣٤)

---

(١) ضَرَّة: بفتح الضاد وتشديد الراء: وهي امرأة الزوج.

(٢) الجُناح: بضم الجيم وهو الإثم

(٣) المتشبع: هو الذي يُظهرُ الشِّبَعَ، وليس بشبعان، فهذا من الكذب.

(٤) لابس ثوبيّ زور: أي زيّ زور وهو الذي يُزَوِّرُ على الناس، فيظهر لهم بخلاف ما هو عليه، كأن يتزيّ بزيِّ أهل الزهد، أو العلم، أو الجاه، ليغتر به الناس، وليس هو بتلك الصفة، وقيل غير ذلك.

ومعنى: "مَن قام برجل مسلم..." ذكروا له معنيين:-

المعنى الأول: أن الباء للتعدية: أي أقام رجلاً مقام سمعة ورياء ووصفه بالصلاح ،والتقوى، والكرامات، وشهره بها وجعله وسيلة إلى تحصيل أغراض نفسه وحطام الدنيا، فإن الله يقوم بعذابه وتشهيره؛ لأنه كان كاذباً.

والمعنى الثاني: إن الباء للسببية، وقيل: هو أقوى وأنسب، أي: مَن قام برجل من العظماء من أهل المال والجاه مقاماً يتظاهر فيه بالصلاح والتقوى؛ ليعتقد فيه ويصير إليه المال والجاه، أقامه الله مقام المرائين ويفضحه ويعذبه عذاب المرائين، وقيل: يحتمل أن تكون الباء في "برجل" للتعدية والسببية، فإن كانت للتعدية يكون معناه: مَن أقام رجلاً مقام سمعة ورياء، يعني: مَن أظهر رجلاً بالصلاح والتقوى؛ ليعتقد الناس فيه اعتقاداً حسناً، ويعزونه ويخدمونه لينال بسببه المال والجاه، فإن الله يقوم له مقام سمعة ورياء بأن يأمر ملائكته بأن يفعلوا معه مثل فعله ويظهروا أنه كاذب.

وإن كانت للسببية فمعناه: أن مَن قام وأظهر من نفسه الصلاح والتقوى؛ لأجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر، كثير المال؛ ليحصل له مال وجاه ..." (انظر عون المعبود:١٣/٢٢٦)

- ***ويدخل تحت هذا العنوان أيضاً:*** كل مَن يُغيِّر في شكله ويلبس شعراً مستعاراً؛ ليدلس على الناس، فهذا من الزور. ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سعيد ابن المسيب ﷺ قال:***

"قدم معاويةُ المدينة فخطبنا وأخرج كُبَّةً [1] من شعر، فقال: ما كنتُ أرى أن أحداً يفعله إلا اليهود، إن رسول الله ﷺ بلغه فسماهُ الزُّور"

٦ - ومن الكذب أنك ترغب في الشيء، ثم تقول: لا أرغب فيه:

وهذا يُعد من الكذب

فقد أخرج الإمام أحمد وابن أبي الدنيا بسند فيه مقال من حديث أسماء بنت يزيد ﷺ قالت: **"يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه، يُعَد ذلك كذباً؟ قال النبي ﷺ: إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً"**

- وكلام النبي ﷺ: **"إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً"** ينسحب على ما قاله الإمام الغزالي، ***حيث قال ﷺ في كتابه "الإحياء"(٣/١٨٨):*** "ومن الكذب ما جرت به العادة في المبالغة، كقوله: "طلبتك كذا وكذا مرة، وقلت لك كذا مائة مرة، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها، بل تفهيم المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً، وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم، وإن لم تبلغ مائة، وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب". اهـ

(١) كبة من شعر: هي شعر ملفوف بعضه على بعض.

٧- ومن الكذب: الكذب في المنام:

يعمد بعض الناس إلى اختلاق رؤى ومنامات لم يَرَوْهَا، والغرض من ذلك هو تحصيل فضيلة، أو ذكر بين الخلق، أو لحيازة منفعة مالية، أو تخويفاً لمَن بينه وبينهم عداوة، وكثير من العامة لهم اعتقادات في المنامات وتعلُّق شديد بها، فيُخْدَعُون بهذا الكذب.

- وقد ورد وعيد شديد لكل مَن تكلَّف واختلق حلماً وحكى عنه وهو لم يره

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن واثلة بن الأسقع ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن من أعظم الفِرَى [١] أن يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يُري عينيه في المنام ما لم تَرَيا، أو يقل علي ما لم أقل"

- وفي البخاري أيضاً من حديث ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"مَن أَفْرَى الفِرَى أن يُرِي الرجل عينيه ما لم ترى"

- وعند البخاري أيضاً من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن تحلَّم بحُلمٍ [٢] لم يره، كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين[٣] ، ولن يفعل، ومَن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفِرُّون منه؛ صُبَّ في أذنه الآنُكُ [٤] يوم القيامة، ومَن صوَّر صورة عُذِّب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ"

- وعند الإمام أحمد بلفظ:

"مَن تحلَّم كاذباً دفع إليه شعيرة وعُذِّب حتى يعقد بين طرفيها وليس بعاقد"

وكفى بهذا الوعيد زجراً لمن تُسوِّل لع نفسه أن يَدَّعي رؤيا ما لم يُرَ في منامه.

- يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ في "شرح رياض الصالحين" (٤/١٩٧):

"وقول النبي ﷺ: **"مَن تحلَّم بحلم لم يره"** يعني مَن كذب في الرؤيا، وقال: رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب، فإنه يوم القيامة مكلف أن يعقد بين شعيرتين، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكنه لا يزال يُعذب ويقال: لابد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد يدل على أن التحلُّم بحلمٍ لم يره الإنسان من كبائر الذنوب". اهـ

---

(١) من أعظم الفرى: أي من أعظم الكذبات.
(٢) من تحلَّم بحلم: أي تكلف الحلم، وزعم أنه رأى ولم ير.
(٣) يعقد بين شعيرتين: تعجيزاً أو تعذيباً.
(٤) الآنُك: بالمد وضم النون وتخفيف الكاف، وهو الرصاص المذاب، وقيل: هو الرصاص الأبيض، وقيل: الأسود، وقيل: هو الخالص منه.

ويقول المناوي ﷺ في شرح الحديث السابق:

"واتصال الشعيرتين إحداهما بالأخرى غير ممكن عادة، فهو يُعَذَّب حتى يفعل ذلك، ولا يمكنه فعله، فكأنه يُكَلَّف ما لا يستطيعه فيُعَذَّب عليه، فهو كناية عن تعذيبه على الدوام".اهـ

وقفة:

قد يَرِد هنا تساؤل عن الحكمة من المبالغة في النكير على الكذب في الرؤى، أكثر من النكير على مَن يكذب في الحقيقة .

يجيبك عن هذا التساؤل الحافظ ابن حجر ﷺ حيث قال:

"إنما اشتُدَّ في الوعيد لمَن يكذب في المنام، مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد يكون شهادة في قتل، أو حدٍّ، أو أخذ مال؛ لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب علي الله أشد من الكذب علي المخلوقين؛ ***لقوله تعالى:*** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]

وإنما كان الكذب في المنام كذب علي الله لحديث : "**الرؤيا جزء من النبوة**"، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبَل الله تعالى". اهـ

٨- ومن الكذب ما يعرف بالنكات:

وقد كَثُر المزاح [١] بالنكات بين الناس في هذا الزمان، ولا يرون فيه أي مخالفة، وقد انتشر هذا الأمر وذاع حتى صار إنكاره منكراً

وقد جاء في "سنن الترمذي وأبي داود والنسائي" عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ويل[٢] للذي يُحَدِّثُ فيكذب ليُضحِك [٣] به القوم ، ويل له ، ويل له"**

(صحيح الجامع:٧١٣٦)

يقول الإمام أحمد ﷺ:

"الكذب لا يصلح فيه جد ولا هزل" (الآداب الشرعية:١/٢٠)

وقال بعضهم:

الحلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهزارا

ما إن ندمت على السكوت مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

- والنبي ﷺ وعد كل مَن ترك الكذب وإن كان مازحاً ببيت في الجَنَّة

فقد أخرج أبو داود بسند صحيح من حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"أنا زعيم [٤] ببيت في ربض الجَنَّة [٥] لمَن ترك المراءَ وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجَنَّة لمَن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجَنَّة لمَن حسن خلقه"

(حسنه الألباني في صحيح أبي داود":٤٠١٥) و(هو في الصحيحة: ٢٧٣)

- بل ترك المزاح دليل على صدق إيمان العبد

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا يؤمن العبدُ الإيمانَ كُله حتى يترك الكذب في المزَاحة والمِراء وإن كان صادقاً"

وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

"لا يبلغ العبدُ صريح الإيمان حتى يدعَ المزاح والكذب، ويدع المراء وإن كان محقاً"

---

(١) المِزاح: بكسر الميم مصدر مازحتُه مزاحاً، وبضم الميم مصدر مَزَحْتُه مَزْحاً، ومزاحاً.

(٢) الويل: قال عنه عطاء بن يسار ﷺ: "هو وادٍ في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت، وقيل: الويل، يعني الهلاك.

(٣) ليُضحِكَ: ضبطت في الروايات بفتح الياء وتسكين الضاد (ليَضْحَكَ)

(٤) زعيم: أي كفيل وضامن.

(٥) ربض الجَنَّة: أي فيما حولها من خارج عنها.

- وإذا كان لابد من المزاح حتى لا تمل النفس، فليكن مزاحاً مباحاً نادراً يقصد به الترويح عن النفس؛ لتجديد نشاطها في طاعة الله؛ لذا كان يقال: "روِّحوا القلوب، ساعةٌ وساعةٌ"

وهذا معنى قول أبي العتاهية:

لا يُصْلِحُ النفس إذا كانت مُصَرَّفَةً إلا التَّنَقُّلُ من حالٍ إلى حال

- **وكذلك يشترط في المزاح أن نتحرَّى فيه الصدق اقتداءً بالنبي ﷺ**

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"قالوا: يا رسول الله، إنك تُدَاعِبنَا، فقال النبي ﷺ: نعم، غير أني لا أقول إلا حقاً"

- ***وفي رواية عند أحمد:*** **"إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً"**

(صحيح الجامع:٢٥٠٩)، (الصحيحة: ١٧٢٦)

فإذا كان لابد من المزاح، فينبغي أن يكون من قبيل مزاح رسول الله ﷺ، فلا يكون إلا حقاً ولا يؤذي إنساناً وإن يكون نادراً.

٩- ومن الكذب: كذب أولياء الأمور على أطفالهم بقصد الإلهاء أو الترغيب أو المازحة:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال:

"دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعداً في بيتنا، فقالت: ها، تعال أُعْطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتِبَت عليك كَذِبة"

(حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

"مَن قال لصبي: هاك[1]، ثم لم يعطه فهي كذبة"

(١) هاك: أي أقبل وخذ.

١٠ - ومن الكذب: نقل الكلام دون تثبت وتحقيق:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]

وجاء في "سنن أبي داود" عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"بئس مطية الرجل زعموا"**

– **وقد حذَّر الله تعالى مَن تناقل الإخبار دون التثبت من صحتها، فقال تعالى:**

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء:٨٣]

قال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية إنكار على كل مَن يبادر إلى الأمور قبل تحقُّقها، فيخبر بها ويفشيها، وقد لا يكون لها صحة، ***وقد قال مسلم في "مقدمة صحيحه" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** **"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"**

– ***وفي "الصحيحين" عن المغيرة بن شعبة ﷺ:*** **"أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال..."**
أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبُّت ولا تدبُّر ولا تبيُّن

– ***ولنذكر هاهنا حديث عمر ابن الخطاب ﷺ المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله ﷺ طلَّق نساءه،*** **فجاء من منزله حتى دخل المسجد، فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استاذن على النبي ﷺ، فاستفهمه: أطلَّقت نساءك؟ فقال: لا، فقلت: الله أكبر..."**
وذكر الحديث بطوله، ***وعند مسلم بلفظ:*** **"فقلت: أطلقتهنَّ؟ فقال: لا، فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يُطلِّق رسول الله نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١) [النساء:٨٣]، فكنت أنا استنبط ذلك الأمر"**

(١) ومعنى يستنبطونه: أي يستخرجونه من معادنه، يقال: استنبط الرجلُ العينَ، إذا حفرها واستخرجها من قعورها...". اهـ

١١ - ومن الكذب: كذب الدجالين والمشعوذين والسحرة على الناس:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿ ٢٢١ ﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢]

قال ابن كثير ﷺ: "أي كذوب في قوله، فاجر في أفعاله، فهذا الذي تنزَّل عليه الشياطين من الكُهَّان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة" (تفسير ابن كثير: ٣/٣٥٤) بتصرف

قال ابن جرير الطبري ﷺ ***يقول تعالى ذكره:*** ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أيها الناس، ﴿ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ من الناس ﴿ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ يعني كذَّاب بهات ﴿ أَثِيمٍ ﴾" (تفسير الطبري:٤٨٦٩)

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ:

"إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله كالسلسلةِ على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العلىُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع - ومسترقوا السمع هكذا واحدٌ فوق آخر - ووصف سفيان بيده وفرَّجَ بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهابُ المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبها فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يُلقوها إلى الأرض - وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض - فتُلْقى على فم السَّاحِر، فيكذبُ معها مائة كذبة، فيُصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا فوجدناه حقّاً؟ للكلمة التي سُمِعَت من السماء"

تحذير:

مَن ذهب إلى هؤلاء الدَّجالين فسألهم؛ لا تقبل له صلاة أربعين يوماً

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ ***قال:***

"مَن أتى عرَّافاً، فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"

- وهذا الوعيد لمَن أتاهم فسألهم دون أن يصدقهم، ومَن صدَّقهم فقد كفر بما أُنْزِل على محمد ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم أن النبي ﷺ ***قال:***

"مَن أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزِل على محمد"

عقوبة الكذب

حيث إن الكذب أصل الرذائل، وجماع كل شر؛ فقد عاقب الله تعالى فاعله بعقوبات شديدة ومخزية في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة.

يقول ابن القيم ﷺ كما في كتابه "الجواب الكافي"(ص١٠٦):

"لا تحسب أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣- ١٤] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة كذلك، أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم"

أولا: عقوبة الكذب في الدنيا:

١- انعدام الراحة والأمن، وعدم الشعور بالطمأنينة

فقد أخرج الترمذي والنسائي عن أبي الحَوْرَاء السعدي قال:

"قلت للحسن بن علي ﷺ: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدقَ طمأنينة، وان الكذبَ ريبة (١)"

(صحيح الألباني في صحيح الترمذي: ٢٥١٨) و(الإرواء: رقم ٢٠٧٤)

فالكذب: شك، واضطراب، وقلق، وإزعاج، وانعدام طمأنينة النفس، وعدم هدوء البال، وضيق في الصدر

- وجاء في "كتاب أدب الدنيا والدين" (ص٢٦٧):

"وحيث إن الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه لأنه ينتج عنه النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة". اهـ بتصرف

- ويقول ابن القيم ﷺ كما في "الجواب الكافي" (ص١٠٦):

"وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب، وأي عذاب أشد من الخوف والهمِّ والحزن وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلُّقِه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة، وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله عُذِّبَ به ثلاث مرات". اهـ بتصرف

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]

(١) الريب: القلق والاضطراب والشك والتهمة.

٢- الكذب يمرض القلب

الكذب يؤدي إلى مرض القلب، والقلب المريض لا يشعر بالاطمئنان والسكينة، ونجد ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

[البقرة:٨-١٠]

فالكاذب مريض القلب؛ لأن الكذب نقيض الصدق، والصدق يهدي إلى البر، والكذب يهدي إلى الفجور، والإنسان الفاجر يحيا في الآلام النفسية بما تصوره له نفسه الأمارة بالسوء على أنه سعادة"

(الكذب آفة العصر: ص:١٣]

٣- الكذب ينقص الرزق، ويمحق البركة

فقد أخرج الأصبهاني من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"برُّ الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق ،والدعاء يرد القضاء"

- وبوَّب البخاري في "صحيحه" باباً بعنوان: "ما يمحق الكذب والكتمان في البيع" ثم ساق الحديث الذي رواه حكيم بن حزام ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

"البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقَا - أو قال: حتى يتفَرَّقَا- فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتمَا وكذبَا محقت بركة بيعهما"

فبسبب شؤم التدليس والخداع والكذب؛ يزيل الله ﷻ بركة هذا البيع، فترى الكذَّاب يزداد ربحه، ولكن لا بركة فيه. **نسأل الله أن يرزقنا الحلال الطيب، وأن يبارك لنا فيه**

٤- الكذب سبب لابتعاد الملائكة وحرمان بركتهم

فقد أخرج الترمذي من حديث ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إذا كذب العبدُ تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به" (قال الترمذي: حديث حسن والراجح ضعفه)

٥- الكذب سبب لابتعاد الناس ونفرتهم عنه

فمَن تعوَّد على الكذب وعُرِفَ به، سقط من أعين الناس، وضاعت هيبته منهم، فتراه منبوذاً إن قال لا يصدق، وإن شفع لا يشفع، وإن خطب لا يخطب، ***وصدق القائل حيث قال:***

إذا عُرِفَ الإنسان بالكذب لم يزل ... لدى الناس كذَّاباً ولو كان صادقاً

فإن قال لم تصغ له جلساؤه ... ولم يسمعوا منه وإن كان ناطقاً

٦- الكذب سبب للحرمان من نعمة الهداية

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨]

ففي هذه الآية وعيد من رب العالمين لمَن يتجرأ على هذا الخُلُق البغيض، فتجد أن الكذَّاب محروم وبعيد عن هداية الله تعالى، بعيد عن الصراط المستقيم؛ لأنه اختار الطريق المعوج المظلم، طريق الكذب، فكان الجزاء من جنس العمل.

٧- الكذب سبب للطرد من رحمة اللّه تعالى

قال تعالى: ﴿ . . . ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران:٦١]

فالكذَّاب مطرود من رحمة الله تعالى

٨- الكذب يهدي إلى الفجور، وصاحبه متوعد بالنار

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"... وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذبُ ويتحرَّى الكذب؛ حتى يُكْتَب عند الله كذَّاباً"**

وفي الحديث إشعار بسوء خاتمة الكذَّاب، الذي يتكرر منه الكذب وأصبح الكذب عادته، فهذا يكتب عند الله كذَّاباً، فإذا كان ذلك كذلك، فالعاقبة وخيمة.

ونلاحظ في الحديث السابق لهجة التحذير والتخويف في قوله: "**إياكم**" لماذا؟ لأن الكذب يؤدي إلى الفجور، وأصل الفجور كما قال الراغب: "يعني الشق"، فالفجور شق في ستر الديانة، ويطلق على الميل إلى الفساد، وعلى الانبعاث في المعاصي، وهو اسم جامع للشر" **(فتح الباري:١٠/٥٢٤)**

والفجور: هو الميل عن الحق والاحتيال في رده، ومعنى قوله ﷺ: "**إياكم والكذب**" يعني: ابتعدوا عنه واجتنبوه، وهذا يعم الكذب في كل شيء، ولا يصح قول من قال: "إن الكذب إذا لم يتضمن ضررا على الغير فلا بأس به، فإن هذا قول باطل؛ لأن النصوص ليس فيها هذا القول، والنصوص تحرِّم الكذب مطلقاً، يعني إذا كذب الرجل في حديثه، فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل إلى الفجور – والعياذ بالله – وهو الخروج عن الطاعة والتمرد والعصيان" **(شرح رياض الصالحين:٤/١٩١)**

ثانيا: عقوبة الكذب في القبر:

فالكذَّاب يُعذَّب في قبره بسبب كذبة

فقد أخرج البخاري من حديث سمرة بن جندب ﷺ قال:

"كان رسول الله ﷺ مما يكثرُ أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه مَن شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذاتَ غَدَاةٍ: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقتُ معهما..." ***ثم ذكر الحديث وفيه:*** **"فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ(١) من حديد، وإذا هو يأتي أحَدَ شقي وَجْهِهِ فيُشَرْشِر(٢) شدقَهُ إلى قفاه، ومنخرهُ إلى قفاه، وعينَهُ إلى قفاه، ثم يتحولُ إلى الجانب الآخر، فيفعلُ به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغُ من ذلكَ الجانبِ حتى يصحَّ ذلك الجانب كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعل مثلَ ما فعَلَ في المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي انطلق انطلق، فانطلقنا..."** الحديث

وفيه أن النبي ﷺ قال: **"قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك:... وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَرُ شدقُهُ إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذبُ الكذبة تبلغ الآفاق"**

- ***وفي رواية:*** **"الذي رأيته يشق شدقُه فكذَّاب، يُحدِّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة"**

وقد أفاد هذا الحديث: أن بعض العصاة يُعذَّبُون في البرزخ من تعمُّد الكذب.

- ***قال الحافظ ابن الحجر ﷺ كما في "فتح الباري" (١٢/١٤٦٥):***

"استحق الكذَّاب هذا التعذيب لما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وهو فيها مختار غير مُكره ولا ملجأ، ***قال ابن هبيرة:*** "لما كان الكاذب يساعده أنفه وعينه ولسانه على الكذب بترويج باطلة، وقعت المشاركة بينهم في العقوبة". اهـ

- ***قال ابن العربي ﷺ:*** "شرشرة شدق الكاذب: هو إنزال العقوبة بمحل المعصية". اهـ

والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً

---

(١) كلوب: حديدة عقفاء تكون في طرف رحل الرجل يعلق فيها الزاد. (المعجم الوسيط: ص٨٢٦)

(٢) يشرشر: يعني يقطع.

ثالثا: العقوبة في الآخرة:

١ - الكذب سبب للعذاب الأليم، والبعد عن رب العالمين

فقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم قال: فقرأها رسول الله ﷺ [ثلاث مرارٍ]"، قال أبو ذر ﷺ: "خابوا وخسروا. مَن هم يا رسول الله؟ قال: المُسبِل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
"ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملك كذَّاب، وعائل مستكبر"

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
"ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ كان له فضلُ ماءٍ بالطريق، فمنعه من ابن السبيل، ورجلٌ بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجلٌ أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل، ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [آل عمران:٧٧]"

٢ - الكذب سبب لدخول النار

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث عياض بن حمار المُجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في خطبة له: "... وأهل الجَنَّة ثلاثةٌ: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له[٣] الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون[٤] أهلاً ولا مالاً، والخائن[٥] الذي لا يخفي له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يُصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك" وذكر: "البُخْل أو الكذب [٦] ، والشنظير [٧] الفَحَّاش"

(٣) لا زَبْرَ له: أي لا عقل له، يزبره ويمنعه مما لا ينبغي، وقيل: هو الذي لا مال له، وقيل: الذي ليس عنده ما يعتمده.
(٤) لا يتبعون: مخفف ومشدد من الاتباع، أي: يتبعون ويتبعون، وفي بعض النسخ "يبتغون": أي يطلبون.
(٥) الخائن: الذي لا يخفي له طمع، ومعنى لا يخفي: يعني لا يظهر، وأخفيته إذا سترته وكتمته.
(٦) وذكر البخل أو الكذب: (هكذا في أكثر النسخ)، وفي بعض النسخ: ذكر الكذب فقط، والأول هو المشهور.
(٧) الشنظير: فسر بأنه الفحَّاش: وهو السيئ الخلق.

- ***وأخرج ابن حبان عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وهما في الجَنَّة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار..." (صحيح الجامع:٤٠٧٢)

- ***وقد مرَّ بنا حديث الحبيب النبي ﷺ وهو في "الصحيحين":***

"... وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار..." الحديث

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ:***

"أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حُجْرته، فخرج إليهم، فقال: إنما أنا بشرٌ، وإنه يأتيني الخَصْمُ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعضٍ، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمَن قضيت له بحق مسلمٍ، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها"

- ومما يدل على أن الكذب من موجبات النار

ما مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الترمذي وأبو داود عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ويل[١] للذي يُحَدِّثُ فيكذب ليُضحِك[٢] به القوم، ويل له، ويل له"**

٣- الكذب سبب لحرمان صاحبه أن يدخل الجنة مع الداخلين

ودليل ذلك ما أخرجه البزار من حديث سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاثة لا يدخلون الجَنَّة: الشيخ الزاني، والإمام الكذَّاب، والعائل[٣] المزهو[٤]"

(١) الويل: كما قال عطاء بن يسار ﷺ: "هو وادٍ في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت، وقيل: الويل، يعني الهلاك.
(٢) ليُضحكَ: ضبطت في الروايات بفتح الياء وتَسكين الضاد (ليَضْحَكَ)
(٣) العائلَ: يعني الفقير.
(٤) المزهو: هو المعجب بنفسه المُتكبِّر.

عــلاج الـكـذب

الكذب داء عضال، ومرض يفتك بصاحبه، وما من داء إلا وله دواء، ودواء الكذب يتلخَّص في:-

١- الاستعانة باللّه تعالى

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣]

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"

فعلى مَن ابتُلِيَ بهذا المرض الخطير أن يستعين برب العالمين، ويجاهد نفسه في التخلص من هذه الآفة

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول:

"أعظم الخطايا الكذب، ومَن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه، وقال: إن للملك لِمَّةً[1]، وللشيطان لِمَّةً، فلِمَّةُ الملك إيعادٌ بالخير، وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك؛ فاحمدوا الله، ولِمَّةُ الشيطان إيعاد بالشرِّ، وتكذيب بالحقِّ، فإذا رأيتم ذلك فتعوَّذُوا بالله" (الفوائد لابن القيم: ص٢٠١)

٢- العمل بوصية النبي ﷺ

فالنبي ﷺ يوصي في أكثر من حديث بتحرِّي الصدق، وملازمة الصادقين، ويُحذِّر من الكذب والكذَّابين.

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"عليكم بالصدق فإن الصدقَ يهدي إلى البِرِّ،... وإياكم والكذبَ، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ..."** الحديث

ويقول النبي ﷺ لمعاذ ﷺ: **"أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبذل السلام، وخفض الجناح"** (رواه أبو نعيم في الحلية)

(١) لِمَّةُ: أي المرَّةُ يَمُرُّهَا.

٣- الوقوف على فضل الصدق[١] وحال الصادقين، ومعرفة شؤم الكذب وحال الكاذبين

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "عليكم بالصدق فإن الصدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذبَ، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفُجورَ يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يكتبَ عند الله كذَّاباً"

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "اضمنوا لي ستّاً من أنفسكم أضمن لكم الجَنَّة: اصدُقوا إذا حَدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأَدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجَكُم، وغُضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم" (صحيح الجامع:١٠١٨)

أحبتي في الله... إن غاية كل إنسان منا النجاة من عذاب الله، والفوز بالجَنَّة، فكل نعيم دون الجَنَّة سراب، وكل عذاب دون النار عافية، والفوز بالجَنَّة والنجاة من النار لا يكون إلا بالصدق مع الله، ومع النفس، ومع الخلق، وترك الكذب الذي هو أصل كل شر.

• أقوال بعض السلف للحث على الصدق وبيان فضله، وترك الكذب وبيان قبحه

- ***يقول عمر ابن الخطاب ﷺ:*** "قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله"
- ***ويقول ابن عباس ﷺ:*** "أربعٌ مَن كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر"
- ***ويقول عمر بن عبد العزيز ﷺ:*** "ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه"
- ***وقال الشعبي ﷺ:*** "عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك"
- ***وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده:*** "علِّمهم الصدق كما تعلِّمهم القرآن"

ويقول الشاعر:

عَوِّد لسانك قول الصدق تحظَ به ... إن اللسان لما عوَّدت معتاد

(١) في نهاية الرسالة كلمة عن الصدق وفضله.

لكن ما الذي يدفع إلى الصدق ويرغب فيه؟

يجيب عن هذا الإمام الماوردي ﷺ ***فيقول:*** "**أولاً العقل:** من حيث كونه مُوجِباً لقبح الكذب، **ثانياً الشرع:** حيث ورد بوجوب اتباع الصدق، ونهى عن الكذب وحذَّر منه، والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير، **ثالثاً المروءة:** لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق، **رابعاً حب الاشتهار بالصدق:** فمَن يتمتع بهذا الاشتهار بين الناس لا يُرَدُّ عليه قوله ولا يلحقه ندم، **خامساً السعادة والطمأنينة:** حيث إن الصدق طمأنينة في الفؤاد، وراحة في النفس يجدها الصادقون بخلاف ما يجدها أهل الكذب، من انقباض في صدورهم، وبعدهم عن الطمأنينة، فهم في بحر الشكوك غارقون"

(أدب الدنيا والدين: ص٢٦١-٢٦٢ بتصرف)

٤- القيام بواجب الأخوة، وهذا يقتضي عدم الكذب على الغير

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ:

"المسلمُ أخو المسلم لا يخونه، ولا يَكذبُهُ، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشرِّ أن يحتقر أخاه المسلم"

٥- القدوة العملية

فعلى الإنسان أن يكون قدوةً لمَن حوله، وخُصوصاً لمَن له ولاية عليهم

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر ﷺ ***قال:***

"دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعداً في بيتنا، فقالت: ها، تعال أُعْطك، فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتِبَت عليك كَذِبة"

وهذه القدوة العملية تخرج لنا جيل لا يعرف الكذب

ففي هذا الحديث يُعلِّم النبي ﷺ الآباء كيف يكونوا قدوة لأبنائهم، فلا يكذبوا عليهم، فيشبّ الأبناء على الصدق، ولا يعرفون للكذب معنى، وهذه القدوة العملية على المستوى الخاص في العلاقة بين الآباء والأبناء، والمدرس وطلبته، والمدير وعمَّاله، والرئيس وشعبه، أما على المستوى العام فقدوتنا جميعاً هو الحبيب النبي ﷺ، الذي علَّم الدنيا معنى الصدق والوفاء، ***وهو القائل*** ﷺ: **"لو أفاء الله علي نِعَماً عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذَّاباً، ولا جباناً"** **(رواه مسلم)**

وكان ﷺ أبغض خلق إليه الكذب

فعلينا أن نتخلَّق بأخلاق النبي ﷺ ونهتدي بهديه، ونقتفي أثره، ونتبع سنته

٦ - مصاحبة الصادقين

وهذا ما حثَّنا عليه رب العالمين، **حيث قال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]

يقول السعدي رحمه الله ***في تفسير الآية السابقة:*** ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً، خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة" (تفسير السعدي: ص٣٥٥)

٧ - هجر الكاذبين

وهذا ما كان يفعله النبي الأمين ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها ***قالت:***

"كان رسول الله ﷺ إذا اطَّلَعَ على أحدٍ من أهل بيته كَذَبَ كذبةً، لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة" (صحيح الجامع: ٤٦٧٥)

– ***ورواه ابن حبان بلفظ:*** **"ما كان من خُلُقٍ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يكذبُ عنده الكَذبَةَ، فما يزال في نَفْسِهِ حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة"**

– ***قال أحدهم:***

إذا ما المرء أخطاه ثلاث ... فبعه ولو بكف من رماد
سلامة صدر والصدق منه ... وكتمان السرائر في الفؤاد

– ***وقال آخر:***

واختر صديقك واصطفيه تفاخرا ... إن القرينَ إلى المُقارِنِ ينسب
ودع الكذوبَ ولا يكن لك صاحبا ... إن الكذوبَ لبئسَ خِلا يُصْحَبُ

– فعلى المرء أن يصاحب الصادقين، ويبتعد عن الكاذبين؛ لأن الطباع سرَّاقة، والصاحب ساحب، فكم من شقي كانت شقاوته بسبب جليس سيء جالسه! وكم من شخص قد أسعده الله وأورثه أعالي الجنان بسبب مجالسته للصالحين!

– ***وصدق الحبيب النبي*** ﷺ ***حيث قال كما في "سنن أبي داود والترمذي":***

"المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم مَن يخالل"

– ***يقول سفيان ابن عيينه*** رحمه الله: "انظروا إلى فرعون معه هامان، وانظروا إلى الحجاج معه يزيد ابن أبي مسلم شرٌّ منه، وانظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة، فقوَّمه وسدَّده"

- فلا شك أن الجلساء والأصدقاء يؤثر بعضهم على بعض، وهذا ما يؤكده النبي ﷺ

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك[1] ونافخ الكير[2]، فحامل المسك إما أن يُحذيك[3] وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة"

- ***قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في "فتح الباري" (٤/٣٢٤):*** "وفي الحديث النهي عن مجالسة مَن يتأذَّى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة مَن ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا"

- ***وقال السعدي رحمه الله:*** "مَثَّل النبي ﷺ بهذين المثالين مُبيِّناً أن الجليس الصالح خير لك في جميع أحوالك، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك، فأنت تجلس معه قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها.

فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جُنود مُجَنَّدة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير أو ضده

- ***وصدق عدي بن زيد حيث قال:***

عن المرء لا تسأل وسَل عن قرينه ... فكل قرين بالمُقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردي فتردى مع الردي

٨- كثرة الذكر

فقد جاء في حديث أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:

"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر قسوة للقلب، وان أبعد الناس من الله القلب القاسي"

فالإنسان إذا أكثر من ذكر الله؛ فإنه أبعد ما يكون عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش، وغيرها من آفات اللسان، لكن إذا غفل عن ذكر الله؛ قسي قلبه، وإذا قسي قلبه فلا تجد إلا كل قبيح من أقوال وأفعال.

---

(١) حامل المسك: بائعه.
(٢) نافخ الكير: هو الحداد الذي ينفخ على الحديد.
(٣) يحذيك: أي يعطيك.

• ما يباح من الكذب

يقول الإمام النووي ﷺ كما في كتابه "رياض الصالحين" (ص٥٨٦):

"اعلم أن الكذب وإن كان أصله مُحرَّماً، فيجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحتها في كتاب الأذكار، ومختصر ذلك:

إن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يُحرَّم الكذب فيه، وان لم يكن تحصيله إلا بالكذب؛ جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مُباحاً، كان الكذب مُباحاً وإن كان واجباً كان الكذب واجباً.

فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وسُئِلَ إنسان عنه؛ وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالمٌ أخذها؛ وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يُوَرِّي، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذب بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الحال.

واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال ***بحديث أم كلثوم ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

"ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس فَيَنْمي خيراً[1]– أو يقول خيراً" (متفق عليه)

– ***زاد مسلم في رواية:*** **"قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يُرَخِّصُ في شيء ممَّا يقول الناس إلا في ثلاث" *تعني:* "الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها".**اهـ

– ***وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث أم كلثوم بنت عقبة ﷺ قالت:***

"رَخَّص النبي ﷺ من الكذب في ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته"

(السلسلة الصحيحة:٥٤٥)

(١) ينمي خيراً: بفتح أوله، أي يبلغ خيراً على وجه الإصلاح.

تنبيه مهم:

كذب الزوج على زوجته أو العكس ليس على إطلاقه

يقول الإمام النووي ﷺ كما في "شرح مسلم"(٥/٤٦٥):

"وأما كذبه لزوجته، وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم.. ونحو ذلك. فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أولها؛ فهو حرام بإجماع المسلمين. والله أعلم". اهـ

- ويقول ابن حزم ﷺ كما في "المحلى" (١٠/٧٥):

"ولا بأس بكذب أحد الزوجين للآخر فيما يستجلب به المودة..." ثم ذكر الحديث

- ويقول الخطابي ﷺ في "عون المعبود" (١٣/٢٦٣):

"كذب الرجل على زوجته: أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه؛ يستديم بذلك صحبتها ويصلح به خلقها". اهـ

- ويقول صاحب "تحفة العروس" (ص١٨٨):

"وأرى جواز الكذب هنا بين الزوجين يكون في تظاهر كل منهما بالحب، في حال عدم ميل أحدهما للآخر، ولعل هذا الميل المُتَصَنَّع ينقلب إلى حب حقيقي بعد ذلك، وما عدا ذلك فينبغي أن يسود الصدق بينهما، وإلا زالت الثقة التي تتعذر الحياة الزوجية بدونها". اهـ

• والتعريض والتورية أولى من الكذب

لما رواه البخاري في "الأدب المفرد" عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

"أما في المعاريض ما يكفي المسلم الكذب" (قال الألباني: صحيح موقوف)

- وروى البخاري أيضاً عن عمران بن حصين ﷺ قال:

"إن في معاريض الكلام(١) لمندوحة(٢) عن الكذب"

- وروي عن ابن عباس ﷺ قال: **"ما يسرني بمعاريض الكلام في حمر النعم"**

(إغاثة اللهفان:١/٣٨١)

- ويقول ابن الجوزي ﷺ في تفسيره عند قوله تعالى على لسان إبراهيم ﷺ:

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا . . .﴾[الأنبياء:٦٣]، المعاريض لا تذم خصوصاً إذا احتيج إليها".اهـ

(١) المعاريض: من "التعرض"، وهو كلام له وجهان: من صدق وكذب، أو ظاهر وباطن.

(٢) مندوحة: أي فُسحةٌ ومُتَّسعٌ، ومعنى الحديث: "إن في المعاريض من الاتساع ما يغني عن الكذب" (الفتح:١٠/٦١٠)

والتعريض بالكلام بدلاً من التصريح، يكون لمصلحة شرعية تستدعي ذلك، ويشترط أن يكون صدقاً، ولو استوى التعريض والتصريح امتنع التعريض

أمثلة للتورية والتعريض:-

١- ما جاء في الحديث الصحيح عن أنس ﷺ قال في حديث الهجرة:

"أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعْرَف، ونبي الله شابٌ لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر، مَن هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير"

٢- ولقي رسول الله ﷺ طليعة للمشركين وهو في سفر من أصحابه، فقال المشركون: ممَّن أنتم؟، فقال النبي ﷺ: نحن من ماء، فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: أحياء اليمن كثيرة، لعلهم منهم، وانصرفوا" (السيرة النبوية لابن هشام:٢/٢٥٥)

وأراد النبي ﷺ بقوله:

"نحن من ماء" قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:٥- ٦]

٣- سأل أبو طلحة ﷺ زوجته أم سُليم ﷺ: كيف الغلام [١]؟ قالت أم سليم: هدأت نفسُه [٢] وأرجو أن يكون قد استراح [٣]، وظن أنها صادقة [٤]".

٤- واحتج في "المغني" بالأخبار المشهورة في ذلك، ***كقوله*** ﷺ: **"لا يدخل الجَنَّة عجوز"**، ***وقوله لامرأة أخرى:*** **"زوجك الذي في عينيه بياض"** ***وقوله لمَن استحمله:*** **"إنَّا حاملوك على ولد ناقة"**، ***وقوله لرجل حر:*** **"مَن يشتري العبد"**... وغير ذلك، وهذا كله من التأويل والمعاريض، ***وقد سمَّاه النبي ﷺ حقاً، فقال*** ﷺ: **"لا أقول إلا حقاً"**

- ***يقول الغزالي ﷺ كما في كتابه "الإحياء" (٣/١٨٨):*** "والمعاريض تباح لغرض خفيف كتطيب قلب الغير بالمزاح المباح" ثم ذكر الإمام الغزالي الأحاديث السابقة

(١) كيف الغلام: أي كيف حال الغلام وقد كان الغلام مريضاً.

(٢) هدأت نفسه: تقصد أنه مات، أما أبو طلحة ففهم أن الغلام قد نام، فاللفظ يحتمل الأمرين.

(٣) قد استراح: تقصد أنه استراح بالموت من ألم المرض ونكد الدنيا، أما أبو طلحة ففهم أن الغلام عوفي من مرضه.

(٤) ظن أنها صادقة: باعتبار ما فهم هو، وخبرها غير مطابق لما فهم أبو طلحة، فكان تعريضاً.

٥- ***ويقول الماوردي ﷺ كما في كتابه "أدب الدنيا والدين" (ص٢٥٧):***

"وردت السُّنَّة بإرخاص الكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، على درجة التورية دون التصريح به، فإن السُّنَّة لا تَرِدُ بإباحة الكذب، لما فيه من التنفير، وإنما ذلك على طريق التورية والتعريض، ***كما سُئِل ﷺ*** **"ممَّن أنت؟ قال: من ماء"** فورَّى عن الإخبار بِنَسَبِه بأمر محتمل، ***وكما في إجابة أبي بكر ﷺ عندما سئل عن رسول الله ﷺ فقال:*** **"هاد يهديني السبيل"**، فظنُّوا أنه يعني هداية الطرق، وهو إنما يريد هداية سبيل الخير". اهـ باختصار

٦- ***وجاء في "المغني":*** "أن مَهنَّا كان عند الإمام أحمد هو والمروزي وجماعة، فجاء رجل يطلب المروزي، ولم يرد المروزي أن يُكلِّمه، فوضع مهنَّا أصبعه في كفه، وقال: ليس المروزي ها هنا، وماذا يصنع المروزي ها هنا؟ يريد: ليس المروزي في كفِّه، فلم ينكره الإمام أحمد.

٧- ***وكذلك فعل الشعبي ﷺ هذا:*** "فكان إذا طُلِبَ في المنزل، وجاءه مَن يكرهه، خطَّ دائرة، وقال للجارية: ضعي الأصبع فيها، وقولي: ليس ها هنا" (الإحياء:٣/١٨٧)

٨- ***ويقول المروزي ﷺ:*** "جاء مهنَّا إلى أبي عبد الله، فقال: يا أبا عبد الله معي هذه الأحاديث وأريد أن أخرج، فحدثني بها، قال الإمام أحمد لمهنَّا: متى تريد تخرج؟ قال: الساعة أخرج، فحدَّثه بها الإمام أحمد وخرج مهنَّا، فلما كان من الغد أو بعد ذلك، جاء مهنَّا إلى أبي عبد الله، فقال له أبو عبد الله: أليس قلت الساعة أخرج؟! فقال مهنَّا: قلت أخرج من بغداد؟! إنما قلت لك: أخرج من زقاقك، فلم ينكر عليه الإمام أحمد"

٩- ***وكان حمَّاد ﷺ إذا جاء مَن لا يريد الاجتماع به:***

"وضع يده على ضرسه، ثم قال: ضرسي، ضرسي"

١٠- ***وكان النخعي إذا طُلِبَ، قال للجارية: قولي لهم:*** "اطلبوه في المسجد" (مختصر منهاج القاصدين)

وقفة:

ذكر ابن القيم ﷺ: "إن الحيل ثلاثة أنواع:-

أ - نوع قربة وطاعة، وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى

ب - ونوع جائز مباح لا حرج على فاعله، ولا على تاركه، وترجح فعله على تركه، أو عكس ذلك

جـ - ونوع مُحرَّم، ومخادعة لله تعالى ورسله، متضمن لإسقاط ما أوجبه، وإبطال ما شرعه، وتحليل ما حرَّمه، وإنكار السلف والأئمة وأهل الحديث إنما هو لهذا النوع..." اهـ (إغاثة اللهفان:١/٣٨٤)

تنبيهان:

١- التعريض إنما يكون في موضع الحاجة، فأما في غير موضع الحاجة فيكره

وقد روي عن عبد الله بن عتبة ﷺ ***أنه قال:*** "دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز ﷺ، فخرجت وعليّ ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكَهُ أمير المؤمنين؟ فكنت أقول: جزى الله أمير المؤمنين خيراً، فقال لي أبي: يا بني اتقِ الكذب وما أشبهه" فنهاه أبوه عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم عن ظنٍّ كاذبٍ لأجل غرض المفاخرة، وهذا غرض باطل لا فائدة فيه.

٢- لو تركت التورية وأطلقت عبارة الكذب؛ حفاظاً على الأرواح أن تزهق، أو الأموال أن تسلب، أو الأعراض أن تنتهك؛ فليس بحرام.

- ***يقول الجاحظ*** ﷺ: "ما لم يكن لدفع مضرَّةٍ لا يمكن أن تدفع إلا به، أو اجترار نفع لا غنى عنه ولا يتوصل إليه إلا به؛ فإن الكذب عند ذلك ليس بمستقبح، وإنما يستقبح الكذب إذا كان عبثاً، أو لنفع يسير لا خطر له" **(تهذيب الأخلاق: ص٣٢)**

- ***يقول الألباني*** ﷺ ***في "الصحيحة" الحديث رقم (٥٤٥):*** **"رخَّص النبي ﷺ من الكذب في ثلاث..."** الحديث، ***قال الإمام النووي*** ﷺ: ***قال القاضي:*** "لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ما هو؟

فقالت طائفة: هو على إطلاقه، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، ***وقالوا:*** "الكذب المذموم ما فيه مضرة"، واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، و﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩]، وقوله: "**إنها أختي**"، وقول منادي يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠]، ***قالوا:*** ولا خلاف أنه لو قصد ظالمٌ قتل رجلٍ هو عنده مختف؛ وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو، وقال آخرون منهم الطبري: "لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء في الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله ذلك، وحاصله: أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في إصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك وورَّى، وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه: مات إمامكم الأعظم، وينوي إمامهم في الأزمان

الماضية، أو غداً يأتينا مدد، وهو يقصد الطعام... ونحوه، هذا من المعاريض المباحة فكل هذا جائز، وتأوَّلوا في قصة إبراهيم ويوسف – عليهما السلام – وما جاء من هذا على المعاريض. والله أعلم.

قلت (الألباني): "ولا يخفى على البصير أن قول الطائفة الأولى هو الأرجح والأليق بظواهر هذه الأحاديث، وتأويلها بما تأوَّلته الطائفة الأخرى من حملها على المعاريض مما لا يخفى بعده، لاسيما في الكذب في الحرب، فإنه أوضح من أن يحتاج إلى التدليل على جوازه، ***ولذلك قال الحافظ في "الفتح"(٦/ ١١٩): "قال النووي:*** "الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة، لكن التعريض أولى"، ***وقال ابن العربي:*** "الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص، رفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالاً" انتهى

ويقويه ما أخرجه أحمد وابن حبان من حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط، الذي أخرجه النسائي وصححه الحاكم في استئذانه النبي ﷺ: "أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة، وإذن النبيﷺ، وإخباره لأهل مكة أن أهل خيبر هزموا المسلمين... وغير ذلك مما هو مشهور فيه" اهـ (السلسلة الصحيحة:٢/٨٦)

وختاما: *أقول لكم أحبتي في الله...*

علينا بترك هذا المرض اللعين الذي حذَّر منه رب العالمين، وكان من أبغض الأخلاق إلى الرسول الأمين ﷺ، ***فقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:***

"ما كان من خُلُقٍ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطَّلع على أحد من ذلك بشيء، فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة"

– ***وفي رواية عند البيهقي في "شعب الإيمان" عن عائشة رضي الله عنها قالت عن النبي ﷺ:***

"كان أبغض الخلق إليه الكذب" (الصحيحة:٢٠٥١)

– والنبي ﷺ يبشِّر كل مَن ترك هذا الخلق الذميم بجنة عرضها السماوات والأرض

فقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"أنا زعيم ببيت في ربض الجَنَّة لمَن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجَنَّة لمَن حسن خلقه"

فاللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة

الصـــدق

الصدق من أعظم وأجلِّ الصفات الإسلامية فهو رأس مال الفائزين، وزاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو حلة الأتقياء، ومفخرة العظماء، وسبيل الأولياء، مَن صال به لا تُردُّ صولته، ومَن نطق به عَلَتْ على الخصوم كلمته.

– فالصدق من أعظم منازل الدين، الذي نشأ من جميع منازل السالكين، وهو الطريق الأقوم الذي مَن لم يسلكه؛ فهو من المنقطعين الهالكين.

وبه يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على زور إلا قطعه، ولا واجه باطلا إلا أزاله وصرعه.

وهو روح الأعمال، ومَحَلُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. (انظر بصائر ذوي التمييز:٣/٣٩٧)

– والصدق راحة للبال، وانشراحاً للصدر، وطمأنينة للقلب

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث الحسن بن علـيٍّ ﷺ قال:

"حَفِظتُ من رسول الله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة" (صحيح الجامع:٣٣٧٨)

وكما أن الكذب بريد الكفر والنفاق، فإن الصدق بريد الإيمان ودليله؛ لذا لا يجتمع كذبٌ وإيمانٌ في قلب عبد أبداً، وقد قسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، **فقال تعالى:** ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، لذا أمرنا رب العالمين في كتابه الكريم أن نكون مع الصادقين، **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]

وكذا أمر النبي الأمين ﷺ

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه في قصة هرقل، حيث قال هرقل: **"فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة ..."** الحديث

مجـالات الصدق

علينا أن نلتزم الصدق في جميع أحوالنا: من أقوال، وأفعال، ونيات

يقول القشيري ﷺ مُعرِّفاً الصدق:

"أن لا يكون في أحوالك شوبٌ[1]، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب"

- ويقول ابن القيم ﷺ كما في "مدارج السالكين" (٢/ ٢٨١):

"والصدق ثلاثة: قول، وعمل، وحال

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السُّنْبُلةِ على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صِدِّيقيَّتُهُ، كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ". اهـ

١ - الصدق في الأقوال

علينا أن نلتزم الصدق في الأقوال، فهذا دليل الإيمان

وقد روي عن عائشة ﷺ قالت: **"يُعْرَف المؤمن بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه"**

- ويقول ابن قدامة ﷺ: "وينبغي أن يراعي العبد معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه، ***كقوله:*** "وجهَّتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض"، فإن كان قلبه منصرفاً عن الله، مشغولاً بالدنيا فهو كاذب"

(١) الشوْب: هو ما اختلط بغيره من الأشياء.

٢- الصدق في الأعمال

وهو أن تستوي سريرة العبد وعلانيته، فلا يخالف عمله قوله فهذا عين الصدق، وخلاف ذلك هو الكذب والنفاق.

- ***يقول الحسن البصري*** ﷺ: "يُعد من النفاق اختلاف القول والعمل، واختلاف السر والعلن، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه هو الكذب"

- ***وقد عرَّف بعضهم الصدق بأنه:*** "استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، وبألَّا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله"

- ***يقول زيد بن الحارث*** ﷺ:

"إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك الإنصاف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور، ***وأنشد:***

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

فإن خالف الإعلان سرًّا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا

- **أفلح من وافق عمله قوله**

أخرج البخاري ومسلم من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ:

"أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس[١]، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوَّعَ شيئاً، فقال: أخبرني بما فرض الله عليّ من الصيام؟ فقال: شهر رمضان إلا أن تطوَّعَ شيئاً، قال: فأخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة؟ قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك بالحق لا أتَطَوَّعُ شيئاً ولا أنقص ممَّا فرض الله عليّ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صَدَقَ، أو دخل الجَنَّة إن صدق"

(١) ثائر الرأس: منتشر الرأس.

٣- الصدق في النية والإرادة

ومرجع ذلك إلى الإخلاص، فمَن قصد بعمل الآخرة الدنيا، وخالط عمله شوب من حظوظ النفس؛ بطل صدق النية، وصاحبه كاذب في نيَّته، كما في حديث الثلاثة: العالم والقارئ، والمجاهد، والمُتَصَدِّق، فلما قال القارئ: قرأت القرآن... إلى آخره"، إنما كَذَّبَهُ الله تعالى في إرادته ونيته، لا في نفس القراءة، وكذلك صاحباه.

- **مَن يصدق الله في نيته وإرادته؛ يصدقه الله تعالى**

فقد أخرج الطبراني والحاكم عن شداد بن الهاد: **"أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجِرُ معك، فأوصي به النبي ﷺ بعض الصحابة، فلما كانت غزوة غَنِمَ النبي ﷺ سبياً، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: قسمتُهُ لك، قال: ما على هذا اتَّبعْتُكَ، ولكني اتَّبعْتُكَ على أن أُرمَى إلى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهمٍ، فأموت؛ فأدخل الجَنَّة، فقال له النبي ﷺ: إن تَصْدُق الله يصدُقْك، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه"**

- وصدق النية يصل بصاحبه إلى أعلى المقامات

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"مَن سأل الله الشهادة بصدق؛ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"

٤- الصدق في العزم

ومثاله: أن يعزم الإنسان على شيء يعود عليه بالنفع في دينه، كأن يعزم على الحج مثلاً إن آتاه الله مالاً، أو يتَصَدَّق، فيأتيه المال فلا يفعل ما نواه وعزم عليه، فهذا قد خالف ما عاهد الله عليه

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

[التوبة:٧٥-٧٧]

فجعل الله العزم عهداً ووعداً، وجعل الخلف فيه كذباً، والوفاء به صدقاً.

٥- الصدق في مقامات الدين، وهي أعلى الدرجات

كالصدق في حسن التَّوكُّل على الله

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"إن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمَّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليها للأجل الذي أجَّلهُ، فلم يجد مركباً يركبها، فأخذ خشبه فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج [١] موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم إني تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفي بالله كفيلاً، وسألني شهيداً، فقلت: كفي بالله شهيداً، فرَضِيَ بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعثُ إليه الذي له فلم أجد، وإني استودعتها، فرمي بها إلى البحر حتى ولجت [٢] فيه...،

ثم انصرف، فخرج الرجل الذي كان أَسْلَفَهُ ينظر لعله يجد مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيتُ فيه، قال: كنت قد بعثت لي شيئاً؟ قال: أخبرتك إني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً"، فهذا هو الصدق في التَّوكُّل على الله تعالى، ومَن توكَّل على الله بصدق كفاه.

– وكذلك الصدق في الخوف

فلو أن رجلاً علم أن السلطان يطلبه ويريد أن يبطش به، كيف ترتعد فرائصه، ويصفر وجهه، ولله المثل الأعلى، فكثير من الناس يقولون بألسنتهم: نخاف الله، مع ذلك تجدهم يتجرءون عليه، ويبارزونه بالمعاصي، وينتهكون محارمه، ويتعدّون حدوده، وتراهم يخافون من النار، ولا يظهر عليهم شيء من ذلك عند فعل المعصية، فإن هذا الخوف كاذب، وليس خوفاً حقيقياً صادقاً.

وكذلك الصدق في الرجاء، والزهد، والرضا، والحب، والتوبة... وغير ذلك من أعمال القلوب، والتي لا يَطَّلِع عليها إلا علَّام الغيوب، ولا يتَّسِع المقام لتناول هذه الأعمال بالشرح والتفصيل

لكن خلاصة الأمر أن يلتزم الإنسان الصدق في جميع أحواله

---

(١) زج: أي سوَّى موضع النقر وأصلحه.

(٢) ولج: أي دخل.

فضل الصدق

١ - صدوق اللسان من أفضل الناس

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال:

"قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد" (السلسلة الصحيحة: ٩٤٨)

٢ - الصدق سبيل لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ

فقد أخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي قراد السَّلمي ﷺ قال:

"كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور، فغمس يده فتوضأ، فتبعناه فحسوناه، فقال النبي ﷺ: ما حملكم على ما فعلتم؟ قلنا: حب الله ورسوله، قال: فإذا أحببتم أن يحبَّكم الله ورسوله، فأدُّوا إذا اؤتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثْتُم، وأحسنوا جوارَ مَن جاوركم" (صحيح الجامع:١٤٠٩)

٣ - الصدق نجـاة

فالصدق يُنجِّي السالك، والكذب يهدي به إلى المهالك، ولا أدل على ذلك من قصة "كعب بن مالك ﷺ" حينما صَدَقَ النبيَّ ﷺ ولم يكذب عليه، عندما تخلَّف عنه في غزوة "تبوك".

والحديث أخرجه البخاري عن كعب بن مالك ﷺ حيث قال:

"لم أتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ إلا في غزوة تبوك..." الحديث ثم قال: "...فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجَّه قافلاً [١] من تبوك، حضرني بثِّي [٢]، فطفقت [٣] أتذكر الكذب، وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كلَّ ذي رأيٍ من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً؛ زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه، وصَبَّحَ رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قَدِمَ من سفرٍ،

(١) قافلاً: راجعاً.
(٢) البثُّ: الحزن، والمعنى أنني حزنت.
(٣) فطفقت: أي بدأت.

بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفُون فطفقوا يعتذرون إليه – وكانوا بضعة وثمانين رجلاً – فقَبِلَ منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكَّل سرائرهم إلى الله. حتى جئت فلمَّا سلَّمت تَبَسَّمَ تَبَسُّم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: ما خلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك [1] ؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذرٍ، ولقد أُعطيتُ جَدَلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عنِّي ليُوشكنَّ الله أن يُسْخِطك علي، ولئن حدَّثْتُك حديث صدقٍ تجدُّ عليّ فيه [2] إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي من عذرٍ، والله ما كنتُ قط أقوى ولا أيسر من حين تخلَّفتُ عنك، قال رسول الله ﷺ: أمَّا هذا فقد صدق، فَقُم حتى يقضي الله فيك..." الحديث، فكانت العاقبة أن تاب الله عليه، ونزَّل فيه وصاحباه قرآناً يُتْلَى إلى قيام الساعة

– ***يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني*** رحمه الله:

"بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً، وعاهدتني على الصدق، ولما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا عرب فأخذوا القافلة، فمرَّ واحدٌ منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني، فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح الأمير باكياً، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة؛ فتابوا جميعاً بفضل الله تعالى، ثم ببركة الصدق"

– ***وصدق الجنيد*** رحمه الله ***حيث قال:*** "حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا يُنَجِّيك منه إلا الكذب".

(مدارج السالكين:٢/٢٩٠)

---

(١) ابتعت ظهرك: أي اشتريت دابة للحرب.

(٢) تجدُّ عليّ فيه: أي تغضب عليَّ بسببه.

٤- الصدق سبب لنزول البركة

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقَا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتمَا وكذبَا محقت بركة بيعهما"

٦- الصدق سبيل لدخول الجنة

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿ ١٤ ﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿ ١٥ ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ ١٦ ﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾

[آل عمران:١٤- ١٧]

وقال تعالى على لسان عيسي عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ١١٨ ﴾ قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أن تعذبهم...الفوز العظيم [المائدة:١١٨،١١٩]

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"اضمنوا(١) لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجَنَّة: اصدُقوا(٢) إذا حَدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم(٣)، واحفظوا فروجَكُم(٤)، وغُضُّوا أبصاركم(٥)، وكُفُّوا أيديكم(٦)"

(صحيح الجامع:١٠١٨)

---

(١) اضمنوا: أي اضمنوا فعل ست خصال بالمداومة عليها؛ أضمن لكم دخول الجَنَّة مع السابقين الأولين نظير فعلها، أو من غير سبق عذاب.

(٢) اصدقوا: أي لا تكذبوا في شيء من حديثكم، إلا أن يترتَّب على الكذب مصلحة، كالإصلاح بين الناس.

(٣) أدُّوا إذا ائتمنتم: أي أدوا الأمانة لمَن ائتمنكم عليها، يقول الحفني: "الأمانة في مال أو وديعة، ويحتمل أن المراد: أدوا جميع المأمورات التي أُئتمنتم عليها، واجتنبوا المنهيات.

(٤) احفظوا فروجكم: أي عن فعل الحرام: من زنا، ولواط، أو استمناء.

(٥) غُضُّوا أبصارَكم: أي عن النظر إلى ما لا يحلُّ.

(٦) كُفُّوا أيديكم: أي امنعوها من تعاطي ما لا يجوز تعاطيه شرعاً.

- ***وفي رواية عند البيهقي في "شعب الإيمان" وفي "مستدرك الحاكم" عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** "تقبلوا لي ستًّا؛ أتقبل لكم الجَنَّة: إذا حدَّث أحدُكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يُخلِف، وإذا ائتمن فلا يَخُن، غُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديكم، واحفَظُوا فروجكم"

(صحيح الجامع:٢٩٧٨)

- ***وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** "عليكم بالصدق فإن الصدقَ يهدي إلى البِرّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صِدِّيقاً..." الحديث

- ***وفي رواية عند الطبراني في "المعجم الكبير" من حديث معاوية ابن أبي سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** "عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجَنَّة، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وهما في النار"

وأخيرا... ***أوصيك أخي الحبيب بما وصَّى به سليمان ﷺ حيث قال:***

"اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية طلبك"

واختم بهذه الوصية الجامعة للحبيب النبي ﷺ الذي ما ترك خيراً إلا دلَّنا عليه،ولا شراً إلا حذَّرنا منه

ففي حديث أخرجه الإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق ،وعفة مطعم"

(صحيح الجامع:٨٧٣)

فاللهم ارزقنا الصدق في القول والعمل، والسر والعلن

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك